د. محمد الرزقي

ظهور الرّوح

(مقدمة في فلسفة الرّوح)

تقديم المفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور

أبو يعرب المرزوقي



دار ياسين للنشر و التوزيع



د. محمد المرزقي

ظهور الرُّوح

(مقدمة في فلسفة الرُّوح)

تقديم المفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور:

أبو يعرب المرزوقي

المؤلف: د. محمد الرزقي.

عنوان الكتاب: ظهور الرُّوح

تصميم الغلاف الخارجي: أحمد المرزوقي.

الطبعة: الأولى أكتوبر 2012.

كمية السحب: 1000 نسخة.

الناشر: دار ياسين للنشر و التوزيع.

البريد الالكتروني للمؤلف: rjihed@yahoo.fr.

بسم الله الرحمان الرحيم

الإهداء

أهدي هذه الصفحات،

إلى ثلاث نسوة، كان لهنّ الفضل عليّ، وهنّ:

أمّي لرعايتها...

جدّتي- رحمها الله- لحكمتها...

وزوجتي لقوّة شكيمتها...

أبو لؤي

التــــصدير

قال تعالى: ﴿**وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا**﴾. (الإسراء:85).

أخرج البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة أنّه قال: "**حفظت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعاءين، فأمّا أحدهما فبثثته، وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم**".(صحيح البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ج 1، ص 38).

قال تعالى في خصوص عدد فتيّة أهل الكهف: ﴿**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ، مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيل**﴾. فكان ابن عبّاس يقول: "أنا من القليل الذي استثنى الله عزّ وجلّ، كانوا سبعة". (تفسير ابن كثير ص 3/1125).

تقديم الكتاب

بقلم الدكتور أبو يعرب المرزوقي

كرَّمني أخي الفاضل الدكتور محمد الرزقي فأهداني عمله القيِّم "ظهور الروح" الذي عالج فيه مسألة من أهم مسائل البحث في أعماق النفس البشرية. فقد حدد فيه أطوار النضوج الروحي التي يستكمل الإنسان فيها فردا وجماعة تحقيق مقومات حقيقته الإنسانية التي هي عين الأمانة التي عُرضت عليه فحملها ليكون أهلا للاستخلاف. إنه بحث شيِّق تدرَّج فيه المصنف بنسق مناظر لمراحل هذا النضوج، نسقٍ كانت بدايته حقيقة الكتابة الفكرية باعتبارها كشفا عن أعماق النفس البشرية وأسرار الروح وغايته مراقي الوعي المدرك لذاته والـمُشْرَئِبِّ إلى شهود ما جربته الذات من أطوار أوصلتها بوساطة قص رمزي يبرز خصائص الواقع الجمعي.

أفدْتُ الكثير من هذا البحث، وقد وجدت في حدوس صاحبه علاماتِ النباهة والسعي الواثق نحو استكمال شروط الأهلية للبحث العلمي الرصين. وفّق الله أخي محمد الرزقي في مسعاه الجاد خدمة للفكر والإنسان.

أبو يعرب المرزوقي
تونس في 4 أكتوبر 2011

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وكلّ من والاه.

أما بعدُ، فإنَّه من دواعي سروري أنْ أقدِّم للسادة القراء كتاب "ظهور الروح" في طبعته الثانية بعد نفاذ الطبعة الأولى من المكتبات. وقد حافظت في هذه الطبعة على متن الكتاب كما نُشر لأوَّل مرّة سنة سبع وألفين حتى يتبين القارئ خطَّ سيرنا في الكتابة ويقف بنفسه على نوعية الموضوعات المطروحة قبل "زمن الثورات".

وفي سياق حديثنا عن الثورة والثورات، أقول إنَّ ما وقع في تونس يُعتبر ثورة فريدة بمقاييس جديدة خاتلت أهل النظر، وهو ما أربك بعض النخب الأكاديمية المحنطة والتي ظلت حبيسة التوصيفات النظرية وأصرَّت "إلحاحا" على أنَّ ما وقع ليس ثورة بالمعنى المفهومي.

لكنَّ ما وقع في تونس ينطبق عليه مفهوم الثورة باعتبار أنَّ الثورة تتمثل في التغيير العنيف للسلطة القائمة من قبل الشعب، شرط أن تعقب تقويض هذه السلطة تحولاتٌ جذرية على مستوى النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فضلا عن

إعادة بناء منظومة القيم التي تحدد النظرة للإنسان والعالم والكون، وهذا الأمر مازال في طور الإنجاز.

ولعلّ وجود أستاذنا الدكتور "أبو يعرب المرزوقي" في عملية البناء هذه، يجعلنا نطمئن بعض الشيء على المستقبل، خاصة أن الرجل وهبه الله شفافية فكرية عالية تكاد تجعله من أهل "الولاية" الذين ينظرون إلى الغيب من خلف ستار رقيق.

ولا أخفي بهجتي لَمَّا شرَّفني الدكتور أبو يعرب المرزوقي - على كثرة مشاغله- وقرأ الكتاب الذي بين أيديكم، وقدَّم له، واحتفى به وبصاحبه، إذ شجعني كثيرا وشحذ همتي، رغم أن هذا الكتاب جلب لي سخط "الآخرين" الذين استكثروا عليَّ الخروج من "جلباب" البحوث العلمية المقننة إلى رحاب التأمل والنظر، ورأوا في ذلك تطاولا من طرف شخص لم يضع أقدامه في الجامعة مع "الكبار"، خاصة أنّ الكتاب تُرجم إلى اللغة الفرنسية وصدر سنة ثمان وألفين، وكان المنتظَرُ أن تتم ترجمته إلى اللغة الألمانية والانقليزية والتركية.

كان قدري في هذا الكتاب السيرُ على طريق الإبداع لا الاتباع، لأن وقت الفطام قد حان وأزف، وهو ما جعلني أتذكّر أثناء تحريري لهذه المقدمة رسالة الأستاذ الدكتور- الرجل الصالح- صالح الداسي، والتي أرسلها إليّ عقب صدور كتاب "ظهور

الروح" بحوالي أسبوع، وتضمنت رؤية شاملة للمتن في حوالي عشرين صفحة، وذيَّلها بقوله "لقد صرت أخشى عليك"، فصدقت ظنونه وخاب "حسن ظني": **﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ... وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**. (آل عمران، 140)

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتوجه بشكر صادق وعميق لكل من آزرني و لم يسبق لي أن التقيتهم، فقد كانوا بلسما ربانيا لجروح شيطانية عابثة، وألْفِتُ نظر القارئ إلى أمرين، الأول أنَّ هذا الكتاب ليس سوى المقدمة الأولى لمشروع ضخم شرعت في إنجازه منذ عشر سنوات ويتعلق بفلسفة الروح، والثاني أنه سيجد في نهاية هذا الكتاب ملحقين أحدهما يتعلق بملخص رسالة الأستاذ الدكتور صالح الداسي، والملحق الثاني سيتضمن مقالا كتبتْه الروائية نجاح زقية حول الكتاب وعنوانه "**قراءة في كتاب ظهور الروح– بين التجليات الدينية وطرافة النص الأدبي–**".

ووقع اختياري على هذا المقال دون سواه، لأنه من المقالات القليلة التي تناولت الكتاب من هذه الزاوية، فضلا عن ميولات الكاتبة اليسارية، ورغم هذا الاختلاف البيِّن في المشربين استطعنا تأسيس علاقة نقدية متطورة، لا نعترف فيها بمسألة المجاملة، أو الاختصاص.

أتمنى للجميع قراءة محيرة مربكة، حتى تساعدونا على تقليب أحجار هذا البناء، لأنَّ زمن القادة والمبشِّرين والأساتذة قد ولّى وانتهى، ولم يبق أمامنا إلا جمعُ الهمم التي تتشوَّف إلى التحلُّق حول موائد الحكماء، فدمتم سادتي القرّاء سعداء في موكب النور والبهاء.

الباحث عن الحق وأضعف عباد الله:

محمد بن حسين الرزقي

تونس في: 19 ذو القعدة 1432

الموافق لـــ 16- 10-2011.

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فإنه يسعدني تجديد اللقاء بالسادة القرّاء من خلال هذه الطبعة الثالثة لكتاب ظهور الروح.

وقد صاحبت صدور هذا الكتاب مفارقات عديدة، إذ كنت في بداية الأمر مترددا في نشره، علما أني لم أتردد سابقا في نشر أي كتاب، لكن بمجرد صدور الطبعة الأولى سنة سبع وألفين، تلقاه الناس بقبول حسن، وحظي بعناية خاصة من قبل بعض أساتذتنا الأجلاء، ووجد طريقه سريعا للترجمة، إذ تمّت ترجمته سنة صدوره لتطبع الترجمة في وقت قياسي، وتنفذ الترجمة الفرنسية من المكتبات قبل نفاذ النسخ العربية، وهو أمر أربكني حقا لأنه لم يكن في الحسبان.

ويعود سبب ترددي في نشر الكتاب إلى عامل أساسي، ويتمثل في خصوصية الفصول الأربعة المندرجة فيه، وهذه الفصول هي في حقيقة الأمر ليست سوى مدخلا تمهيديا لمشروع ضخم لم أنته من كتابته إلى يوم الناس هذا ويتعلق المشروع

بـــــ"**طاقات الروح**"، فنازعتني نفسي حينها حول الجدوى من نشر هذا المدخل التمهيدي خاصة أنه كتب بأسلوب صادم مستفز، ويعتمد الطرح أكثر من الشرح.

مع العلم أنه توجد طبعة رابعة تكفلت بها المستشرقة الروسية "زويا ميخائيل يانكو" مديرة دار علاء الدين بدمشق، إلا أن الظروف الخاصة التي تعيشها سوريا اليوم حالت دون معرفة مصير هذه الطبعة، فأتمنى أن يكشف الله السوء عن أهل الشام ويحررهم من قبضة العصابة الأسديّة.

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة إلا أن أتوجه بشكر صادق وعميق لكل من اهتم بالكتاب وتجشم عناء المراسلة والإتصال، وأشكر شكرا خاصا الإخوة "أحمد المرزوقي" و"محفوظ غزال" واللذان بذلا مجهودات مضنية حتى يخرج الكتاب في حلة أنيقة.

فألف شكر لمن ساعدنا وساندنا و ألف تحية لمن نقدنا ونبهنا.

الباحث عن الحق:

د. محمد بن حسين الرزقي

تونس في: 04 ذو الحجة 1433

الموافق لـــ 20- 10-2012.

المقدمـــة

إنَّ مرور الإنسان عبر بوَّابات التاريخ لم يُشْقِه و لم يُضْنِهِ كما أشْقَتْهُ بوَّابةُ هذا القرن التي سلبته كيانه وأفرغته من إنسانيته لتجعله يواجه الإفلاس والتحطم، فيتحوَّل إلى ركام في أرض بلقع، تُبنى الأشياء خارجه ليتهدم هو من الداخل فيكون مجرّد وسيلة وضيعة لا غير.

تجتاح هذه الغربة المجتمع الإنساني بسائر أطيافه ومكوناته وثقافاته، وتكون غربته مضاعفة والحيرة مُقِضَّة قاتلة إذا تعلق الأمر بسكان أرض نجد الذين يعيشون في الماضي عقلا وروحا لكنَّ أجسامهم متواجدة في الزمن الحاضر، لأنَّ هذا الحاضر لا يملكون منه شيئا، فهم يستفيدون من مكتسباته دون أن يساهموا في صنعه أو وضعه، لذلك فهم عاجزون عن فهمه وعن كيفية التحرك ضمن أحداثه أو توقع ما سيجري في المستقبل، فالمستقبل في عرفهم كلمة مبهمة تدخل في علم الغيب. وهو ما يجعلهم يفرون إلى الماضي اضطرارا لا اختيارا، فيحلو لهم تعداد الأمجاد والبطولات والفتوحات المعرفية.

هذا الفرار إلى الماضي يدخل ضمن التغني والتلهِّي، على طريقة الصَّرَّار مع جارته النملة، دون ولوج الباب الحقيقي في العودة إلى الماضي، وهو طرق باب التأسي

والإتباع والإبداع، من خلال الوقوف على المناهج والتسلح بإرادة النهوض والتوثُّب التي تميَّز بها أسلافهم. فالعقل النيِّر لا تحمله إلا إرادة قويّة لأنَّ الإنسان في حقيقة الأمر وحدة تظهر تارة في صورة العقل وطورا في مظهر الإرادة ولا يتوازن الوجود الإنساني إلا إذا كانت هناك رابطة جدلية قوية تناغم بين نور العقل وسعي الإرادة، لذلك شبه شوبنهاور* العقل بالرجل الكسيح المبصر، في حين شبّه الإرادة بالرجل القوي الأعمى، والحلّ البديهي الذي قدَّمه صاحب كتاب "العالم إرادة وفكرة" هو أن يحمل الرجل القوي الأعمى، الرجل الكسيح المبصر، فتستعين القوة بنور الإبصار حتى تتبين طريقها، والأمر نفسه ينطبق على نور العقل الذي لولا وجود قوة تحمله لبقى عاجزا مكتفيا بالمعرفة والفهم قاعدا عن السعي والفعل.

والحق أنّ الحديث عن الإرادة، لا يستقيم إلا إذا قُرن بالحديث عن التربية، والتربية بمعناها الواسع تعني الصقل والتهذيب اللَّذَيْن يفضيان إلى تقوية الإرادة. فصقل

---

* أثر شوبنهاور (1782-1860): فيلسوف ألماني تميز بنزعته التّشاؤميّة، التي سيطرت على حياته ومذهبه في التفلسف، من أهم كتبه على الإطلاق "العالم إرادة وفكرة"، وعلى أهمية هذا الكتاب واحتفاء الباحثين به خاصة بعد موت صاحبه لم يبع منه الناشر حين طبعه إلا بعض النسخ التي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة أما بقية النسخ فقد بيعت ورقا للف البضائع!!. ولعل في هذا الأمر عزاء لبعض الكتاب!!! (للتوسع انظر: قصة الفلسفة، لول ديورانت ص 388 وما بعدها، الموسوعة الفلسفية لعبد المنعم حنفي، ص 255).

الإرادة يعني نزع شأفة الغريزة المركوزة فيها من خلال تهذيب سائر شهواتها الحسية والمعنوية.

ولا تتحقق هذه التربية إلا بالدربة والمران، وليس أمام الإنسان العربي خاصة والمسلم عامة إلا استمدادُ أصول هذه الإرادة من دينه أولا من خلال إكساب الطفل جملة من الطباع الجديدة، التي تقطع مع عادات الجِبِلّة أو الغريزة، وهذا الأمر متاح من خلال الالتزام بالأعمال التعبدية الواجبة، فيتعوَّد الطفل على تطليق عاداته مثل كثرة النوم أو الأكل، والتنازل على ما يحب في أوقات معينة وبطرق مخصوصة، فيصبح له نوع من السلطة على رغباته فيوجهها عوض أن توجهه.

ولا يكتمل هذا الترويض إلا بتعويد الطفل في حياته اليومية على تحمل المسؤولية كالنهوض لوحده وترتيب فراشه وغسل صحنه وإعداد كل ما يحتاجه بنفسه. فإذا التقى داخل إرادة الفرد احترام الجانب التعبدي مع المبادرة والفعل في الحياة اليومية، أكْسَبَ صاحبَه انضباطا يكاد يصل درجة القدسية، وهو ما يجعله يحس بفرديته ومسؤوليته تجاه نفسه وتجاه من حوله ومدى خطورة دوره في هذا الوجود.

إلا أنَّ هذه الإرادة تحتاج إلى قوة إبصار تنير أمامها السبيل وليس هناك أفضلُ من ضوء العقل في هذه المرحلة، لكنَّ العقل نفسه يحتاج إلى عناصر إمداد تنجيه من

ضيق الأفق ومن المعارف السفسطائية والخرافية التي تحاصره والتي تصور له الوجود على أنه عالم حسي مادي يمكن ضبطه من خلال معادلة رياضية أو فيزيائية.

لكن كيف السبيل إلى الحديث عن المعرفة، ونصف "أمة اقرأ" تعاني الأمية والنصف الآخر مهدد بالانتكاس والعودة إلى الأمية من جديد باعتبار أن أدنى نسب المطالعة في العالم تحتلّها البلاد العربية.

إن المعرفة في سياقنا هذا ليس لها علاقة بالتعلّم ولا أدل على ذلك من أن أصحاب الشهائد العليا في سائر المجتمعات العربية لا يختلفون في همومهم وتصوراتهم وأهدافهم عن عامة الناس، فكلهم يلعبون الورق ويعشقون كرة القدم ويلهثون خلف السيارة والبيت والزوجة، فتحصيل هذه المتع هو هدف مشترك بين الجميع يسقط أمامه الجدار الفاصل بين العلم والجهل، وإن كان كل علم أساسه الجهل، والإقرار بالجهل أحد خطوات اكتساب العلم.

فإن كانت هذه النخب المتعلمة، وهي الممثل الواقعي لعقل الأمة عاجزة على أن تقمع شهواتها الجزئية البسيطة، وتحول إرادتها وطاقتها لمعانقة أهداف كليّة أسمى، فكيف نلوم الصبية إذا رقصوا ؟

الطفل في مجتمعاتنا اليوم لا يدرس حبا في المعرفة وإنّما لينال بالمعرفة رضا من حوله أي الوصول إلى مآربه ومتعه الشخصية، فالمعرفة مطية في المقام الأول، كما أنه يحصلها لأجل الآخرين، ولذلك فإنّ هذا الطفل إذ شبّ شعر بنوع من الغربة مع ما حصله، فيكون مجرّد وعاء تجمع فيه هذه المواد دون أن تكون بينه وبينها صلة تفاعل أو محبة.

فكيف يمكن للإنسان أن يتحاور مع نفسه وهو غريب عن نفسه ذاتها، إذ لم يساهم في بلورتها وظهورها؟ وكيف يتحاور مع الموضوعات خارجه وهو غير متعوّد على محاورة البديهيات التي يحملها بين جنبيه ولم يترب على وسائل المحاورة عامة؟ وكيف يتبنّى منهج المحاورة وهو الذي صاغته يدا النزعة البراغماتية النفعية في باب المعرفة خاصة وفي مجال الحياة عامة؟ وكيف يتحاور وفكره قائم أساسا على التلقين والاسترجاع أو لنقل على الازدراد والتقيؤ؟.

وحتى هذه المعارف التي يدرسها يهتم بها تبعا لضواربها فيُخرج من اهتمامه سائر المعارف الإنسانيّة لأن ضاربها بسيط وهامشي وهي مرهقة دراسة ومراجعة، وإن اهتم بها فاهتمامه لا يتعدى دائرة العدد لذلك يتجاهلها "قيمةً"، وهذا التجاهل في حقيقة الأمر إنّما هو تجاهل للذات والوجدان وللإنسان ككل من طرف الباث والمتقبل

على حدّ سواء، لذلك يغيب الإحساس بالوجع اليوم مثلا عندما يدرس التلميذ تاريخ احتلال البلاد العربية قديما أو حديثا، وكأن المسألة لا تهمه. أما مسؤولية الباث في هذه المسألة، فهي عميقة ويصعب الإلمام بها في هذه المقدمة، وإنما نكتفي بذكر غياب الرّوح في مثل هذه المعارف، وكأن الأمر يتعلق بتبليغ جملة من القرارات الجافة، التي يجب أن تُلقى على الأسماع وتُدَوّن في الدفاتر. فإن كان الباث نفسه لا يحس بما يقول فكيف ينقل روح الأشياء إلى الآخرين جريا على قاعدة كون فاقد الشيء لا يعطيه.

المقصود بالمعرفة في هذا المقام هو المعرفة بالنفس ومعرفة المقصد من الوجود بشكل حدسي ذاتي يقترب من اليقين، ثم يتحول هذا اليقين إلى هاجس ووسوسة تسيطر على كامل الذات وتدفعها إلى اكتشاف عوالمها والعوالم المحيطة بها متجنبة بذلك التلقين والتذكر والاستحضار، ومعتمدة على المعايشة والتجربة والإحساس.

وعموما فإنّ التنظير في هذا الباب هيِّنٌ يسير، أما التطبيق وإحياء هذه المعاني فهو المستعصي العسير، لذلك نَحَوْتُ بهذا الكتاب منحى عمليّا يجسِّم المعاني ويقربها إلى الأذهان بلغة سهلة دون أن أُنصِّب نفسي أستاذا أو مبشرا أو فاتحا، بل سيكون الكتاب مفتوحا أمام الجميع قراءة ومحاورة ونقدا، فلن يُقْصِيَ أحدا ولن يخيف أحدا لأنه سيكون خاليا من "الإرهاب الأكاديمي" الذي تزخر به مقدمات الباحثين عادة -بما فيها

كتاباتي السابقة-، إذ يبدأ الباحث عادة بالحديث عن مناهج البحث مقارنا بينها وصولا إلى قائمة مصادره ومراجعه التي لم يطالع ربما حتى ثلثها إضافة إلى الحديث عن هاجس الموضوعية وأمانة العلم والبحث.

فيلتفت القارئ البسيط المحتفي بأخبار الرياضة إلى هذا السيل العرم الذي جاءت به المقدمة، فيصاب بالرهبة ويحجم عن قراءة مثل هذه الكتب لاعتقاده أنها تحوي علوما لدنية يعجز عقله البسيط عن استيعابها، فلو تجاوز هذا القارئ المقدمة لوجد أن محتوى الكتاب مهما ارتفع مشربه، فهو يستطيع أن يحاكيه أو على الأقل أن يفهم بعض مراميه.

لذلك سنعمل معا في هذا الكتاب على اكتشاف الإنسان كما هو عاريا عن كل صورة، لأن الذي يحرّك التاريخ اليوم، ليس الإنسان وإنما صورة الإنسان.

فكيف السبيل إلى الظفر بالإنسان أو على الأقل تتبع طيفه أو تمثل حركاته؟ فهل انحسر وجود الإنسان حتى أصبحنا لا نلقاه إلا في الكهوف متزويا؟ أم هو بيننا فصار غريبا لا يفطن إليه أحد ولا يفهم كلامه إلا الغرباء ؟ أم إنه انقرض؟ أم يا ترى انتحر؟

لكن ما هذا الكلام؟ أليس حقا أضغاث أحلام!!! بل هو أحلام سكران أم هي يا ترى حقيقة الإنسان... إنسان هذا الزمان... وإنسان هذا المكان، وما الفرق بين الحلم والحقيقة؟ أليست الكتابة حلما.

لذلك سأخصص الفصل التمهيدي من هذا الكتاب للحديث عن حقيقة الكتابة، ولِم نكتب؟ أما الفصل الثاني فسأقدم لكم فيه حكاية عربية في زمن العولمة وهي آخر الحكايات، لأن الحكاية ستصبح واقعا معيشا، ولن تحتاجوا بعد اليوم إلى من يقصها عليكم. في حين أن الفصل الثالث سيقدم لكم بسطة للعلاقة القائمة بين الوعي وأفعال الحس، لأختم هذا الكتاب بمحاصرة للوعي واستنطاقه حول مكان اختفاء الرّوح لتظهر الرّوح بطلا دون منازع، وغاية قصوى لفعل الكتابة.

الفصل التمهيدي:
حقيقة الكتابة

يقول ماوتسي تونغ: "يمكن أن نحقق على ورقة بيضاء كل شيء، نقدر أن نكتب أو نرسم أكثر الأشياء جمالا وجدة.

لكنَّ هذا التحقيق يتوقف على كيفيته أي على كيفية الكتابة، ذلك أن الأشياء والأفكار كثيرة جدا لكن الأشكال غير كافية بل قليلة جدا".

أدونيس علي أحمد سعيد،
"زمن الشعر"، ص 292.

إن المتأمِّل في التاريخ الإنساني يلاحظ كثرة الكتاب والكتابات وقد بدأت الكتابة حتى قبل اكتشاف الحروف من خلال الرموز والأشكال والعلامات. وهذه الكتابة التي يحلو لنا أن نسميها بدائية مازالت محافظة على وجودها وفاعليتها وتقاليدها إلى يومنا هذا فنجد رسائل بالجملة على جدران بيوت الخلاء وفوق طاولات الدرس وصولا إلى محطات النقل العام، وكلها تريد أن تقول شيئا وأحيانا يرى العابرون أمام هذه العلامات والكلمات أنها أقرب إلى الفراغ والعبث إذ يقف وراءها زمرة من المستهترين المجانين الهمج، فما لا نفهمه نلحق به دوما صفة الدناءة والانحطاط.

ولنعد الآن إلى كتابة المتحضرين المنضبطين الذين يستعملون الأوراق والأقلام الجافة لتقفز إلى الأذهان جملة من الأسئلة المقضة المحيرة التي تنثال على العقل تنكأ جرحه وكلها تصب في اتجاه واحد، وهو ما الجدوى من الكتابة ؟ ولِمَ يكتب المرء أصلا ؟ ولمن نكتب ؟ وهل هو مطالب بفعل الكتابة؟ وبلغة الفقهاء هل إن الكتابة فرض عين أم هي من فروض الكفاية؟ وهل هذا الفعل هو أفضل الأعمال؟ وأين نصنّف كتاب التّكسّب الذين يعيشون ممّا يكتبون؟ وما الفرق بين المتكسب بشعره مثلا، والمتكسبة برقصها من الجهة الأخرى؟ فكلّهم مبدعون في المجال الثقافي إذا فهمنا الثقافة على أنّها

كلّ ما هو مكتسب، مقابل حالة الطّبيعة، فالرّقص مهارة وثقافة، تستعصي على أهل القلم في أغلب الأحيان.

أليس الوازع الذي يحرّكنا للكتابة هو وازع شخصيّ يهدف إلى إرضاء غرور الذات وإبراز تفوّقها وبراعتها على أتراب اليوم بدعوى الإبداع، ثم إنّ هذا الدّافع يتجاوز حدود ما هو آنيّ ليطال المستقبل ويسابق الزّمان. فالكتابة تضمن لصاحبها مكانه متميّزة في سجلّ الأموات الأحياء الذين لا يسقطون من ذاكرة الزّمان فلا يغمرهم بحر الموت، بل إنّهم يبقون في دائرة التّذكّر والمنافسة حتّى مع الأجيال التي وُلدت من بعد موتهم، أو التي سبقت ظهورهم، فيتحوّلون إلى مرجع ونقطة انطلاق، وفي أحيان كثيرة يتحوّلون إلى أصنام جديدة تُعبد وتُمجَّد لأنّها نالت قصب السّبق والرّيادة في الباب الذي طرقته، ويلبسون هذه الآثار لباس العبقريّة والنّبوغ، ويضعون متونا وتفسيرات، تشرح المستغلق من هذه المؤلّفات، فتتضمن هذه الشّروح تحاليل واستنتاجات وفوائد لم تخطر على بال مؤلّف أصلا.

ولعلّ هذا الدّافع الذي ذكرناه يختزل جلّ الدّوافع التي يمكن ذكرها، فهو المحفّز الأساسي لعامّة الحاملين للواء القلم، فيسارعون إلى ولوج هذا الباب، فيكتبون الشّعر والقصّة والرّواية وغيرها من أشكال التّعبير، معتمدين بوّابة الحسّ أساسا، وإن كانت

الارتسامات تتحدّث عن مسائل معنويّة كالمشاعر مثلا، لأنّ هذه المشاعر لم تغادر دائرة الاهتمام بعالم الحسّ، ولنضرب لذلك مثلا،- وقديما قيل بالمثال يتّضح الحال-، فالرّوايات التي تتحدّث عن الحبّ، وهو القضيّة الرّئيسيّة وقطب الرّحى في جلّ الأعمال الأدبيّة، يقدّم عادة على أنّه حبّ بين شخصين، وإن لم يكن لهما وجود فعلي، إلاّ أنّ وجودهما في ذهن الكاتب المتجذر في واقعه، والذي ينهل من تجاربه الشّخصية، يجعل لهما إحداثيات زمانيّة ومكانيّة معيّنة، زيادة على طبيعة هذا الحب القائمة إمّا على توهّج العاطفة، بما هي تبادل للكلمات والآهات، فالكلام وسيلة حسّيّة، تعتمد مدلولات حسّيّة، تنهض بها دلالات من نفس ضربها، وإما أن يكون هذا الحب قائما على توثّب الغريزة والغريزة قمّة الحسّ.

ولا يعني هذا أن يكون الكاتب مثاليا متبرئا من عالمه الحسّي، وإنّما الانفلات من عالم الحسّ لا يقدر عليه الشّعراء والأدباء، الذين يلاحقون صور الحسّ في أثواب المعنى، فهم أعجز من أن يخرجوا من المعركة وهم أحد أطرافها، بل وقودها الأساسي، فيلهون النّاس بالشعارات والحكايات والأحاجي، فيغادر هؤلاء النّاس مستنقع الحياة اليوميّ، لينتقلوا إلى عالم خياليّ طفوليّ، مركّب من صور حسّيّة ليتبعوها، فتأخذهم إلى متاهات، لا يعودون منها أبدا. لذلك من أدمن هذا اللّون من التّعبير مطالعة أو تأليفا

تجده غارقا في بحر اللّذة على المستوى الشّخصيّ بدءا من منطلقاته الإلهاميّة وصولا إلى الأدوات المتبعة والمناهج التّركيبيّة ويتصوّر نفسه أنّه يبدع فنّا، يخرج المطالعين من دائرة الحسّ فتكون الرّواية أو القصيدة قد أخرجت القارئ من سجن إلى سجن، إلاّ أنّ المؤلّف لا يعي بأنه يبني سجونا جديدة للعقل، والقارئ لا يعي بأنّه يعمر هذه السّجون ويطيل في أعمار هؤلاء الجلاّدين، ويضع في الوقت نفسه غطاء على عين الذات المتطلّعة إلى مغادرة دائرة الحسّ، ودائرة الحسّ هنا ليست دائرة ما هو عملي، وإنّما المحسوس هو كلّ فعل حسّي في منطلقاته ومضمونه يحاول أن يتخفّى وراء المعاني، إلاّ أنّ المعاني لا تحملها إلاّ أواني خاصّة بها، وأواني القصدير يحوي بعضها بعضا.

فمدّعو المعرفة وإن كانوا من المشتغلين بحقل الفلسفة يكرّسون قيم الحسّ، وهذا التّكريس يأخذ درجات متباينة، لعلّ أولى هذه الدّرجات أنّ دخول الجامعات، كانت وراءه غاية براغماتيّة، هي الحصول على شهادة جامعيّة، لأنّ الحصول على شهادة يمكّنه من راتب، والرّاتب هو الذي يقوده لتحصيل بعض شهواته، وشهواته الأخرى يتمها بقرض، بمعنى أنّ غايته لم تكن المعرفة، وإنّما المعرفة هي مطيّة للوصول إلى مطالبه الحسّيّة، وهنا تبرز طبقة سفسطائيّة جديدة تحمل لواء المعرفة والفكر، إلاّ أنّها تقدّم خدماتها إلى من يدفع أكثر، سواء كان هذا الدّفع ماديّا أو على مستوى الاحترام.

فلِمَ لا نرى هؤلاء المدّعين في حافلاتنا وأسواقنا ومقاهينا؟، ولماذا لا نراهم ينشرون معرفتهم وسط الكادحين، المتلهّين بكرة القدم والجنس والمغنّين والذين يكفرون بكلّ ما يقولونه، أم إنّ براعتهم لا تظهر إلاّ أمام طلبة، أنهكت قوامهم العقليّة، فقبل الوصول إلى أبواب الجامعة، شتّت اهتماماتهم في أبواب عدّة، وهم يرون أنفسهم قد قطعوا طريقا طويلا و لم يتبقّ أمامهم إلاّ اليسير، لذلك تجد همّهم منصبا على النّجاح بقطع النّظر عن المستوى والأداء لأنّهم يعيشون ضغطا هائلا يتمثّل أساسا في ضغط الواقع الاقتصادي، إضافة إلى ضغط أُسَرهم التي تذكرهم في كلّ مناسبة إنّها تضحّي لأجلهم وما عليهم إلا ّردّ الجميل، فيتحوّلون إلى إناء للملء والإفراغ تملأ فيه معارف حسّيّة، لتعود البضائع إلى أصحابها من جديد، لكنّ التغيّر يكمن في الورق الذي تلفّ فيه هذه البضائع، فيتحوّل هؤلاء الطلبة إلى عبيد يمجّدون أسياد المعرفة بين أسوار الجامعة، وهذا التّمجيد مردّه قصر النّظر، فهم لا يستطيعون النّظر خارج هذه الأسوار فيقع خداعهم وإيهامهم، بأنّهم وحدهم من يفهمون الذات الإنسانيّة، وبعد طرح هذه الذات على طاولة التشريح المعرفيّ، مستعملين مشرط الموضوعيّة ومخدّر البحث عن الحقيقة، رغم أنّ الحقيقة يعسر أن يظفر بها عقل مظلم، يتحرّك داخل دائرة الكون التي تغطّيها العتمة.

العقل في حقيقة الأمر يستمدّ معرفته من الحوّاس إلاّ أنّه يحوّل هذه الأوليات إلى مقولات كليّة، تحاول أن تفهم ما يجري في الواقع، فيختصر الوجود بأكمله داخل العقل لنجد أنّ العقل نفسه -والمفروض أن يكون حاكما- محاصر بالواقع ومحكوم به فلا يستطيع أن يفهم أو يتصوّر شيئا يخرج عن دائرة الأكوان، وحتّى هذه الأكوان يبقى فهمه لها فهما ناقصا، باعتبار أنّ الاكتشافات الجديدة، التي تقع يوميّا تبيّن مدى جهلنا بما يدور حولنا، بدءا بأسرار الذرّة وصولا إلى حدود مجرّتنا وما يقع وراء هذه المجرّة أو ما يقع وراء السّماء الدّنيا كما سمّاها القرآن، فهل إنّ وراء المجرّة الخلاء والفراغ أم نجد عوالم أخرى يستنكف العقل عن ولوجها بدعوى الموضوعيّة.

ألم تصوّر الآثار والأحاديث النّبويّة ومن قبلهما القرآن السّماء الدّنيا بما فيها من كواكب وأجرام في صورة "حلقة في فلاة" مقارنة بالسّماء الأولى التي تعجّ بمخلوقات يضيق العدّ عن حصرها والأمر نفسه ينطبق على السّماء الأولى التي هي بدورها مثل حلقة في فلاة، إذا قورنت بالسّماء الثّانية، وهكذا إلى أن نصل إلى السّماء السّابعة.

إنّ الأداة التي نخوض بها فهم العالم وفهم ما حولنا يجب أن تتغيّر، لكن قبل الحديث عن هذه الأداة لا بأس في أن نلقي نظرة سريعة على واقعنا الذي تتشعّب فيه

القضايا شرط أن تكون هذه النظرة تمزج بين البهجة واستفراغ الجهد في النّظر حتّى لا تهجرها النّفس خاصّة أنّ النّفس يثقل عليها سماع الوعظ واستيعاب التّحليلات الجافّة باعتبار أنّ النّفس العربيّة تربّت على الحكاية وهي التي أبدعت فنّ القول، أليست هذه الثّقافة ثقافة قوليّة بالأساس خرجت من رحم الكلمة وإليها تعود.

فما هي حكايتنا؟ ومن أين سنبدأها؟

الفصل الثّاني:
حكاية قبل البداية

يقول سقراط: "أليس كل ما أملاه الشعراء أو كتاب الأساطير أقاصيصُ على الماضي والحاضر والمستقبل... أريدك أن تفهم أيضا أنه قد يعكس الحال وتحذف كلمات الراوي الواردة بين أقسام الكلام بحيث لا تبقى إلا واقعاتُ الحادثة" يجيبه أدمنتس: "فهمتُ والمأساة هي من هذا النوع".

أفلاطون،

"جمهورية أفلاطون"، ص 84/ 86.

تبدأ حكايتنا عندما سيطر أباطرة العالم على الحياة وأفقدوا هذه الحياة معناها فصار لزاما على من يروم العيش انتظار الحياة الأخرى أو أن ينتقل إلى العالم الآخر قبل أجله وإن كان سيكون مصيره النّار، لأنّ النّار ستكون أرحم من جحيم الحاضر، فهذه الحياة تمّ اختطافها، وأعلن رسميّا أنّها أصبحت حكرا على الأموات فحسب.

هؤلاء الأموات سيطروا على الجوّ والبرّ والبحر وصاروا أسياد الكون بأسره، بيدهم الموت والحياة والسخط والرّضا، فلا يمكن لأيٍّ طائر أن يمرّ دون أن يرصدوه ليعرفوا نواياه، فإن كان لا يطمح إلاّ لملء بطنه أشعلت الأضواء ورحّبت به في كلّ استراحاتهم وأغدقوا عليه من نعيم الحبوب ما تشتهيه البطون، ومن كثرة الأكل يتحوّل إلى دجاجة أهليّة لا تستطيع أن تعيش حياة البرّية، أمّا إذا كانت نواياه تتّجه صوب الحرّية فلا بدّ من إسقاطه وإحراقه قبل أن تنتشر البليّة، وتنتقل العدوى إلى سائر الطّيور البرّية.

وفي البحار والمحيطات يحاصرون كل مساحة مائيّة ليعرفوا ما فيها من المخلوقات العتيّة، فإن تواجدت فيها حيتان قويّة يصدرون أمرا بخنقها وإفنائها رغم أنّ هذه الحيتان مسالمة وديعة، فيعمدون إلى تلويث محيطها، حتّى تضعف الأصول وتنشأ الأجيال اللاحقة سقيمة عليلة لا تقوى على شيء، فيتضاءل حجمها، وتغيب

خصائصها الوراثيّة، وهو ما يجعلها تعاني مشاكل التأقلم، فتهاجر إلى اليابسة علّها تظفر بمحيط أفضل حتّى تسمق في سلام، لكنّها تجد نفسها مجّرد ضفدعة تعيش على الهامش، مرّة في الماء وأخرى على اليابسة، لا تحسن إلاّ النقيق، فهي ماهرة في تحويل الصّمت إلى ضجيج صاخب يقوم على الأصوات لا على التحطيم والتهديم والبناء، فما أفظع هذه الحياة وما أقساها على حيتان كانت تسود البحار، فلمّا تأزّمت تقزّمت وصار الصياح شغلها الشاغل متى عنّ لأسياد الأرض الجدد أن يسمعوا نقيقها حتّى يقفوا على اجتهاد أقزامهم العملاقة وتفانيهم.

وكم من عملاق خلناه قزما، وكم من قزم هو في حقيقة الأمر عملاق، فالأسد ملك الغابة الذي رسخوا في أذهاننا أنّه رمز القوّة والشجاعة وسيّد كل الحيوانات، يمكن لشوكة أنّ تقض مضجعه وتودي بحياته، وكم من فأر جبان قوّض مدنا وأحرق غابات وحوّل أوضاعا وغيَّر سادات، لكنّه يبقى دوما في الظّل لأنّه فأر، والفأر يبقى دوما منسيّا، وتناسوا حقيقة هذا الفأر، الذي انحدر من الأسد، بعد أن تمّكن من التكيُّف مع وضعه الجديد مثله مثَل صديقنا الضفدع الحوت، لكن الفأر أبى أن يتنازل عن حريته وضحّى بكل شيء من أجل جحره، كما باع كل ما يملك من

أجل شراء وحدة فصيله، فالوحدة هي مصدر القوّة والتناسق في أي مجال من مجالات الفعل والتأسيس.

فالفئران أرادت أن تكون فكانت لما تكون فسدّدت الديون، وشدّت الأحزمة على البطون ورفعت راياتها من الجحور عالية خفّاقة حتّى جاءت الفيلة لتحطّم أحلامها وتسفّه أمانيها وتقوّض إنجازها، وأمام هذا الخطر الدّاهم هربت الفئران، وظلّت تجري دون انقطاع إلى أن تقطّعت أنفاسها فتوقفت للرّاحة، فوجدوا أنفسهم مشتّتين مبعثرين، فراحوا يخطّطون من أجل استرجاع أحلامهم وافتكاكها من جديد لكن هيهات أن يعود الزّمان إلى الوراء.

وتستمرّ الحكاية لتنتهي بنوم الأطفال وبقاء الشّباب الذين لا يرهقهم السّهر لنجد حكايتنا قد حطّت الرّحال في المكان الذي توقّفت فيه الفئران للرّاحة واسترداد أنفاسها. وهو مكان أجرد قاحل خال من رائحة الحياة تقطنه ذئاب قويّة جسورة، مقسّمة إلى مجموعات لا متناهية، تتوالد في كل وقت وحين. وفي إحدى سنوات القحط قلّت المياه في هذا المكان القفر وبخلت الأرض بمخزونها العزيز أصلا، وهو ما جعلهم يتوجّهون جماعات كبيرة إلى عين قاصية اشتهرت بغزارة مياهها، فاستقروا حذوها وتحلّقوا حول مصدر الحياة، وتوالت الأجيال وتعددت، حتّى امّحت

الانقسامات وتلاشت تلك المجموعات، وحلّت محلّها وحدة منسجمة متناغمة، ويعود الفضل في جمع شملهم إلى عين الماء التي رصت الصفوف، وقضت على التناحر والتنافس.

وذات يوم قام أحد الذئاب الحكيمة خطيبا فيهم، فألقى مفاجأة هائلة لم يكن أحد من الحضور يتوقّعها، مفادها أنّ ماء العين فيه نفحات روحيّة هذّبت الأنفس وأخمدت الغرائز، مضيفا أنّ هذه المياه في تجدّد مستمر وتدفّق لا ينحبس، وهو ما جعل مجموعات الذئاب المتآلفة تعمل على حماية مصدر شربهم ووحدتهم، واستمرت هذه العناية جيلا بعد جيل، حتّى صار يضرب بهم المثل في القوّة والوحدة والرّخاء، إلى أن وصل خبرهم إلى معشر الثعابين والحيّات، فقرّروا الالتحاق بهذا المكان علّهم يظفرون بما ظفرت به الذّئاب، وكان هذا الزّحف المنمّق والمجمل تحت قيادة أفاعيهم.

فاستقبلوا من طرف الذّئاب بحفاوة لا حدود لها، بعد أن عوّدهم ماء العين على الكرم، لكن الثعابين كانت تضمر الشّر، فنفثت في الماء سمومها، فأصابت الذّئاب في المقتل، لتصبح هذه الذّئاب عليلة، و لم تقتصر هذه العلل على الأجسام بل امتدّت إلى النفوس، فأصبحوا يعيشون الفوضى والاضطراب، وبدأت شعلتهم في الأفول، ودخلوا في مهاترات ومتاهات لا منفذ لها، وانفضوا من حول العين معتقدين أنّها سبب

البليّة، لأنّها سلبتهم ذاتيتهم وجعلتهم عبيدا لها، فتبنّوا شعار الحريّة ليغيّروا واقعهم، فانطلق كل واحد منهم نحو وجهته اللاّمتعيّنة، معتمدا على نفسه مغفلا قوّة الرّوح فيه، فعادوا إلى قانون الغاب، وأصغوا إلى صوت الأنانيّة، ليلجوا باب الضّياع والخبط الأحمق دون مرشد أو معين، متأبّطين غريزتهم فحسب، فعادوا حيوانات من جديد.

في المقابل عملت الثعابين على حرمان كلّ الخلائق من ماء العين السلسبيل، بأن رفعوا من وتيرة الاختلاقات وبثوها هنا وهناك، لينشروا الفزع والخوف في النّفوس، ويدخلوا الشّك والرّيبة على قلوب كلّ من كان يؤمن بصفاء ماء العين، وتبنّى المؤمنون السّابقون هذه الأراجيف، وأضافوا عليها الكثير ليتحوّل الوهم إلى حقيقة، وكم من حقيقة هي وهم عبدناه، وكم من وهم هو حقّ نبذناه.

تعالت الصّيحات هنا وهناك منادية بكشف المستور واسترجاع أرض الذّئاب الضّالة وعينها، لكن هذه الأصوات سرعان ما تخمد بعد أن تُحكم الثعابين قبضتها على رؤوس ضحاياها المفكّرة، فهم يكرهون من يبحث عن الحقيقة، ويسارعون بطرده من سجلّ الأحياء.

فهل فهمتم القصّة أيّها الشّباب، أم ضجرتم منها وتريدون النّوم، فكلّ الخلق ينام ليستريح إلاّ أنتم تنامون لترهقوا أنفسكم وتنسوا همومكم وتعوّضوها بالأحلام

والاحتلام، فناموا إذن بصحبة إبليس واتركوني مع سادتي الشّيوخ، لنواصل حكايتنا آمنين من طيشكم وشهواتكم التي لا تنتهي.

السّلام عليكم سادتي الشّيوخ الحكماء الظّرفاء، فأنتم وحدكم الذين لا تنطقون عن الهوى، بل تسوسون الدّنيا بسوط النّهى، ونواصل حكايتنا التي توقّفت عند تشرذم الذئاب، وسيطرة الثّعابين اللّقيطة، ففي إحدى الغابات التفّ جمع من الذئاب حول وريث الملك المخلوع الذي تمكّن من معرفة سرّ البليّة واطّلع على ما دبّرته الأفاعي الذكيّة، وقرّر المطالبة بعودة الأسماك إلى النّهر والنّجوم إلى أماكنها الطّبيعيّة، فذهب في جمع من أهله إلى أرضه المسلوبة، وواجه الثّعابين بالحقيقة المحجوبة، ودخل معهم في مجادلات مضنية طويلة، فما كان من الثّعابين إلاّ أن أجلسوه على طاولة التّفاوض المحمودة، مستعملين أساليب ملتوية وأفكار مقلوبة، وأعلموه بصعوبة استرداد عرشه حتّى وإن تمكّن من جمع شتات قبيلته المصلوبة، وأغروه بالمال والإناث لترك هذه القضيّة المزعومة، وإلاّ فلا فكاك له من أنيابهم الحادّة المسنونة، فخضع وخنع وركن إلى الدّعة والهدوء، ونصب ملكا صوريّا على أرض أجداده المسلوبة.

فرح بهذا المكسب السّلميّ ودعا أبناء عمومته إلى العودة إلى الأرض الموعودة، فتحوّل سادة البراري إلى عبيد وخدم للثّعابين المسمومة، وتمّ طيّ هذه الصّفحات

الثورية برصاصات مكتومة، فمن باع الشّوك يجني الورود، ومن باع الورد يجني الجراح والآلام، فصارت الذئاب وليمة لا تستطيع أن تجني إلاّ الهزيمة، فتعدّدت الهزائم دون قتال ونكست الرّايات دون أعلام.

لكن لم تسألوني سادتي الشّيوخ عن الطّريقة، التي تمكّن بها ملك الذئاب من كشف سرّ الأفاعي وتعرية الأورام، فسأتولّى الإجابة عن هذا السّؤال ولن أتعبكم بالكلام.

هذا الملك الهمام، اطّلع على سرّ الحيّات عن طريق أحد الفئران الذي فرّ من أرضه لَمَّا اكتسحتها الفيلة واستقرّ بأرض الذّئاب الأولى، فلمّا اشتدّ القيظ رحل معهم يقتات من بقاياهم، إلى أن استقرّ بهم العيش حول العين، فلمّا رأى ما حلّ بالذّئاب أخذته النّخوة، وهزّه الحنين إلى أمجادهم الضّائعة المسلوبة، وقرّر اختراق الأبواب العالية الموصدة، واطّلع على السّر الرّهيب الذي أبلغ به وريثنا الهمام، لكن جهده راح هباء، لأنّ ملك الصّحراء، قرّر الرّكون والسّكون حتّى لا يحرّم متعة الحياة، واختار أن يعيش صورة عوض أن يتنعّم في مملكة الأحياء.

لكن سادتي الشّيوخ ما بالكم أغمضتم العيون، هل استنكرتم فعلة ملك الذّئاب أم تجمعون الكلام في راحة وسكون، لتعبّروا عمّا يختلج في صدوركم، ما بالكم

لا تتحرّكون، يا إلهي!!! إنّ الجميع أصيب بآفة الموت، وللأسف فشيوخنا الكرام يرحلون إلى دار السّلام دون أن ينبسوا بكلمة حقّ أو بهتان.

دعونا الآن نغادر معركة التّاريخ، التي يحكمها قانون الصّراع والقوّة، والتي تعجّ بكائنات تافهة كريهة ولنهتمّ بالإنسان، لأنّه إن ضاع الإنسان ضاعت معاني الحياة.

الفصل الثّالث:

الوعي ومراقيه

إن نصف الفلسفة يبعدنا عن الله... ونصف الفلسفة هذا هو نفسه الذي يقيم المعرفة على مقربة من الحقيقة في حين أن الفلسفة الحقة تعودنا إلى الله".

هيغل، "أصول فلسفة الحق"، ص 119.

لا حاجة إلى الدخول تحت شعلة المشاعل إذا وجدت الشمس.

بديع الزمان سعيد النورسي،
"مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور"، ص 466.

إنّ غاية اهمام الإنسان بالإنسان إنقاذ الفرد من خطر العدم وانتشال الإنسانية من كارثة التّلاشي، خاصّة وأنّ الإنسان يعيش خارج المعنى وخارج ذاته ولا يحسّ بذاته، إلاّ بعد كل عملية أكل، فهذا الأكل يتطلّب مجهودا لا واعيا لإعادة إنتاجه من جديد، فالإنتاج الجديد يمكّن الإنسان من الوعي بذاته، وأنّه شيء آخر مخالف للخارج وإن دخل هذا الخارج فيه، إذ يمكنه أن يخرجه من جديد إن هو انتبه إلى كل ما يدور داخله و لم يغفل عن متابعة ضيوفه الذين قد يتحوّلون إلى سكّان مقيمّين.

ففعل التغوّط إذن يمكننا من فرصة ثمينة لتحسّس ذواتنا ومعرفة حيويّتها، فهو الفعل الغريزيّ الوحيد، الذي يمكّننا من الإنفراد بأنفسنا، ويسهّل علينا طرق باب الحلم والبناء. فالجالس في هذا المكان يتصوّر نفسه جالسا على كرسيّ عرش الأرض يأمر وينهى فيما يملك وفيما لا يملك، فيشعر لأوّل مرّة أنّه له إرادة يمكن أن تؤثّر في الأشياء. ويعود الفضل في هذا الإحساس إلى ضيق هذا المكان فالفضاء كلّما ضاق منح الإنسان فرصة حقيقيّة ليقف أمام نفسه ويواجهها بعيدا عن كلّ الأقنعة الاختيارية والاجتماعيّة.

ويجعله هذا المكان يحسّ بفرديّته، فهو كالقبر، والقبر لا يسع إلاّ صاحبه. لكن هذا الشّعور بالفرديّة ليس بوجهها الكئيب بل بالعكس هي فرديّة صاخبة تضجّ بالحياة

فكلّ ما حوله غارق في الصّمت إلاّ هو بداخله بركان كلام، كلام لم يعهد سماعه من قبل، فعندما ركّز التقاطه على الداخل سمع ما لم يتخيّل أن يسمعه يوما. فهناك حوار جميل داخله لا يعرف مَنْ أطرافه، هل هم أعداء أم أصدقاء.

لكن هذا الحوار ذكّى داخله شعورا بالعظمة، وأنّه الرّجل الوحيد في هذا الكون. وهو ما يمكّنه من الاستحواذ على كلّ النّساء، كما صار يعتقد أنّ الدّنيا مقبلة عليه طوعا أو كرها، فكلما فكّر في شيء حضر بين يديه، فهو سيد العالم، لكن أي عالم؟.

وهل هناك عالم إلاّ العالم الذي اكتشفه وكان مخفيّا عليه بسبب حياته السّابقة التي لم تكن سوى مجرّد موت بطيء، لأنّها تقتله داخل دوّامة الآخرين وتطحنه مع بقيّة الملايين، فيتحوّل إلى مجرّد رقم مدوّن في أحد السّجلاّت. فما أشنع هذه الأرقام وأبشعها، هي مذلّة ترزح تحتها الإنسانيّة ولن تسترد هذه الإنسانيّة أنفاسها إلاّ بفعل التغوّط!!!

هذا الفعل له وقع فعّال على نفوس كلّ النّاس، لكن من أين يأتي الإنسان بالوقت حتّى يتمكّن من تحقيق هذا المشروع؟؟، فكّل النّاس مستعجلون في الخارج يريدون قضاء حاجتهم والانصراف إلى حياهم المميتة. من أين يأتون بالصّبر وفي كلّ

مكان جحافل تنتظر دورها؟؟؟، فمن مولد الإنسان والانتظار يلاحقه، فأمّه تلده وهناك من ينتظر في بطن أخرى ليخرج مثله، فينتظره ليولد، حتّى يدخل بعده ويأخذ مكانه، وهناك من ينتظره ليستقبله، وصفوف المنتظرين طويلة توصل هذا المولود سنّ الهرم لتزّفه إلى قبره فينتظر الميّت تراتيب الدّفن، وينتظر من يدفن قبله، وينتظر من يدفنه ثمن دفنه، حتّى يكاد الميّت من الضجر أن يعود للحياة من جديد، إلاّ أنّه يتذكّر رتابتها، فيفرغ على نفسه قليلا من الصّبر ليرتاح من عذاب الانتظار.

فالانتظار أمام بابنا هذا يُكسب المكان شأنا عظيما في نظر الدّاخل إليه فيعجب برائحته التي هي رائحة الإنسانيّة الحقيقيّة، فيكون استهلاك هذه الرّائحة مباشرا دون معالجة أو تغليف أو تزييف، فيقف الدّاخل مذهولا أمام نفاذ هذه الرّائحة التي كان يتأفف منها، فيسارع بإنتاج ما يماثلها، فيترع ورقات التوت، ليباشر عملا جديدا كان يستحي منه فيما مضى، فيحس الدّاخل الجديد بكل ما أحسّ به صاحبنا الذي قبله، وتتزاحم المشاهد داخله تزاحم القنوات الفضائيّة في حياتنا، ويحسّ لأوّل مرّة أنّه يماثل الحيوانات شكلا ويختلف عنها مضمونا. فمعنى الفعل عنده وعندهم متباين لأنّ فعلنا مكنه من أن يحسّ بذاته، في حين أنّ فعلهم لا يتعدّى أن يكون مجرّد إفراغ لجملة من الفضلات.

وأثناء التّغوّط يتولّد في النّفس شعور خاصّ باللّذة، يشمل بوّابات المخارج، فتنتشي الآذان بأصوات الفرقعات والانزلاقات والانسيابات، ويتوقّف الأنف عن الشّم لنفاذ روائح هذه المنتوجات، فيكون عرسا صاخبا للحواس، يخرج العامل عن حدّ العمل، إلى حدّ النّشوة والسّكر، ليكسّر حواجز الزّمان، ويجد لنفسه ملجأ يقيه شرط الضبط والالتزام، وعدّ السّاعات والدّقائق والثّواني. فوقت الإنسان صار يعير بالأثمان في حين أنّ الإنسان يباع بلا أثمان لأنّه أصبح وسيلة لنفسه لا غاية لها، فشتّان بين أن يكون المرء مالكا لنفسه وبين أن يكون مملوكا.

والمتغوّط هو الكائن الوحيد المالك لنفسه ولوقته والمستمتع بفعله، فهو يشمّ إنتاجه ولا يسعى للمسه، فلمس الشّيء يفقده معناه، فكم حلمنا بالقمر وجمال القمر، وعندما وصل الإنسان إلى القمر اكتشف أنّه كوكب دميم مليء بالنّتوءات والحفر. وهو بعيد كلّ البعد عن صور الجمال التي صاغها خيال البشريّة، فصُدمْنا وهالتنا الصّور، وقرّرنا أن نشمّ ونحسّ ونحلم دون أن نلقي بأنفسنا في الخطر.

فالخطر الذي يتهدّدنا هو أن تُفرغ الأفعال من معانيها لأنّ قيمة بناية ما إنّما يكمن في ساكنيها، فالمدرسة تستمدّ معانيها من التّلاميذ، الذين هم أثاثها الحقيقي وبدونهم تتحوّل المدرسة إلى بناية كغيرها من البنايات، فخطر إفراغ المدرسة من

مريديها، يهدّد بقتلها، وخطر الإفراغ في الأشياء، يختلف عنه في الإنسان، لأنّ إفراغ الأشياء يكون بنزع نسبتها إلى الإنسان، أمّا إفراغ الإنسان سيادته على الأشياء فإنّه يمنحها الوجود، بعد أن كادت تدخل بوّابة العدم.

ففعل التّغوّط إذن يدخل في باب الملء والإفراغ، فالوعاء الإنسانيّ ممتلئ بعدّة مواد لزجة وسائلة وحتّى صلبة، والتّخلّص منها لا يكون دفعة واحدة لأنّه لو حصل ذلك سيفقد الإنسان وزنه، وهو ما يجعله يطير، وإذا طار فإنّه لا يترك على الأرض إلاّ ثوبه، ونحن لا نريد أن نجازف بالطّيران، حتّى لا نزاحم مخلوقات أخرى في فضائها، فنحن نطمح للتّخلّص التّدريجيّ من الأثقال، التي تجعل الإنسان مشدودا إلى نصفه الأسفل، بتخفيف دخول الأقوات، حتّى يتوقّف فعل الهضم اللاّواعي، والذي كان فيما مضى يخوّل لنا الإحساس بذواتنا.

فالجوع يمكّننا من سَكَنٍ أرْقَى في عمارة الوعي، فنتجاوز بذلك فعل التّغوّط، الذي هو فعل ميكانيكي يُكسب الإنسان لذةً ونشوة ظرفيّة تزول بزوال المسبّب وتنتهي بمغادرة المكان، رغم أنّها تمنح هذا الإنسان وعيا جنينيّا بأن تشعره بإنسانيته من خلال فتح باب التّفكير أمامه. ولولا الوعي بفعل التّغوّط وفهم آليّاته لما تمكّنّا من

تجاوزه إلى فعل أرقى ألا وهو فعل الجوع لأنّه يمكّننا من تجاوز ما هو حسّي والابتعاد عن الأماكن التي يرتادها الجميع.

يوفر لنا الجوع الإطار المعنوي حتّى نفهم أنفسنا، فالجوع رغم أنّه إحساس يؤدّي نفس دور بيوت الخلاء إذ يجعلنا نواجه أنفسنا. فالجائع يمكن أن يذهل عن كلّ شيء لكن لا يمكن أن يذهل عن حقيقة واحدة، وهي أنّه جائع، وبطول الأمد يتعوّد الجائع على هذه الحالة، وهذه الحالة تكسبه تعلّقا بنفسه، واهتماما بها دون سائر الأشياء المبعثرة في الخارج، فمن اختار طريق الجوع، قد اختار طريق الانضباط الذي يمكّنه من إقصاء كلّ العوائق الجزئيّة والعرضيّة ليصرف نظره إلى القضايا العظمى.

فالجوع ليس عقالا يمنع الإنسان عن شهواته الحيوانيّة كالأكل والتّناسل فحسب، وإنّما هو تقيّد لهذه الشّهوات حتّى لا نفكّر فيها بإمعان، فيمنعها قيدها من أن تتراقص أمامنا فتفقدنا توازننا في الحكم عليها لنكتشف بعد أيّام أنّ الجوع نزع منّا كلّ رغبة حارّة وكلّ شهوة متطرّفة ونقلنا إلى حالة أخرى لم نكن نعهدها وهي السّهر. فالسّهر هو أوّل ثمار الجوع الذي منعنا من النّوم، فأقضَّ مضاجعنا ليطول ليلنا، حتّى يتّصل بنهارنا، ثمّ ينهار هذا الاتصال ليصبح اللّيل نهارا والنّهار ليلا، ولاشيء يمنع من قيام أعمال النّهار بالليل والعكس جائز أيضا، فكلّ الحواجز تصبح واهية بل وهميّة

أمام أفكارنا الجديدة، التي أخرجها فعل الجوع والسّهر إلى أرض الإمكان وحيّز الوجود. فاللّيل ينام فيه كلّ النّاس لأنّهم يخشون الوحدة ويخشون مواجهته، وفي مواجهة اللّيل مواجهة لأنفسهم منفردين، لذلك فإنّهم إذا أحيوه، فإنّهم يحيونه في جماعات صاخبة، ويكثرون من اللّغو واللّهو في كلّ وقت وحين، في حين أنّ الجوعان السّهران، يقطف ثمرة ثانية وهي الإمساك عن الكلام، الذي هو هدر للطّاقات، فلا يحفل بغيره ولا يهتمّ به، وإن تكلّم فلا يتكلّم إلاّ مع نفسه، ومحصّلة الكلام مع الذات يكون سؤالا محيّرا، موجّها إليها، وهو ماذا تفعل لو واجهها الموت؟ خاصة أنّ الإنسان يتصوّر أنّ هذه الآفة بعيدة عنه، فيعتقد أنّ الحياة هي المسيطرة على الموت، خاصّة أمام قلّة أعداد الموتى مقارنة بالأحياء، في حين أن المتأمل في الحياة يلحظ أنّها مهدّدة في كلّ لحظة بزحف طوفان الموت عليها. فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعيش بدواء النسيان وخاصة نسيان الموت، فلو داوم على تذكر الموت لعزفت نفسه عن كلّ شيء إلاّ عن مقاومة آفة الموت، وبما أنّ الموت قانون عام يستغرق جميع الكائنات المتمتعة بصفة الحياة، فإنّ هذا الكائن الميّت يبذل محاولات عدّة، بأن يتعالى عن الموت، فيبني القصور ويكتب السّطور حتّى لا يفنى ذكره ويصير قبرا بين القبور. أمّا من رسخت في أعماقه معاني الموت والفناء، فيسعى إلى إيجاد مخرج يقيه ألم تصوّر الموت، لأنّ المؤلم في

الموت ليس الموت في ذاته وإنّما محاولة أن يتخيّل الإنسان نفسه في وضع الموت، حينها يدقّ ناقوس الخطر فتستجمع الذات كلّ طاقاتها لتتجاوز هذه المحنة، فتستيقظ الإرادة التي توقد من سراج الغريزة، المتشبّثة بالحياة في حين أنّ العقل يعجز عن فهم هذه الواقعة الجديدة، التي تفرض نفسها عليه، والذي كان دوما يتشاغل عنها أو يقدّم لها مسكّنات بسيطة لم تعد تجدي نفعا في مثل هذا المستوى، كأن يخاطب نفسه محاولا مواساته بأنّ الموت لا يلحقها وحدها، وإنّما هو مصير مشترك لكلّ البشر، فالاشتراك في المصير يخفّف بعض الشّيء من وقع صدمة الموت، إلاّ أنّه في حقيقة الأمر من يموت هو الإنسان الفرد، ولا تدخل البشريّة معه القبر ولن تقاسمه معايشة آلام الموت، وما كتبه الفلاسفة والشّعراء ورجال الدّين، يتحطّم على صخرة معايشة تجربة الموت، فتلقي النّفس بكلّ هذه الأقوال والآراء والتّمثلات وراء ظهرها، وتسعى إلى إيجاد حلّ يطمئنها قبل أن يقنعها، لكن أنّى لها بمثل هذا الحلّ، ومن سيقدّم لها مثل هذا الدّواء؟؟؟

الفصل الرّابع:
أطوار الرّوح

"البصيرة هي الوعي الكامل لكل الأمور التي تيسر المشاهدة بنور العلم والتجربة والفراسة والإحاطة بها إحاطة كاملة فإن كان الإنسان المالك لمثل هذه البصيرة منفتحا على العالم الآخر فإنه يعد بطلا من أبطال الحقيقة.

فالعقل منبع مهم للعلم. أما البصيرة فمنبع مهم للمعرفة... وإذا كانت البصيرة معرفة الشيء على حقيقته أو قريبا منه، إذن فليس شرطا أن يكون كل شخص عاقل ذا بصيرة وإذا كانت البصيرة هي المرحلة الأخيرة لإدراك العقل فإنها المرحلة الأولى لإدراك الروح، وذروة البصيرة هي الحكمة".

محمد فتح الله، كَولن محمد فتح الله،

"الموازين"، ص200.

"الرؤيا نافذة من النوافذ المفتوحة على عالم الحقيقة، وتعني رؤية جزء مما حدث أو مما سيحدث من الحوادث رمزا أو صراحة. فكل رؤيا إشارة وحزمة ضوء من العالم البعيد تنير الظلمة أمام الإنسان بنسبة بُعد ذهن ذلك الإنسان عن الوقوع تحت ضغوط معينة وتحت أسر إيحاءات معينة. ولأن الرؤيا لا تحتاج إلى عين أو مادة أو ضوء بل تتم بواسطة الروح والبصيرة فإن الأشياء المرئية فيها تكون في الأغلب جميلة وواسعة بشكل لم يعتده الإنسان ولم يتصوره والرؤيا الواحدة قد تحوي إشارات ومعلومات كثيرة عن الأمس واليوم والغد... لذا نستطيع القول أن الرؤيا هي مشاهدة طبيعية للروح".

كَولن محمد فتح الله،

"الموازين"، ص: 119

يشكّل الوقوف أمام فاجعة الموت منعرجا حاسما أمام الذات عامّة وأمام كلّ ذات تطالع هذا الكتاب على وجه الخصوص، فما كان قبل هذه النّقطة يحتمل أن يطالعه ويتذوقه الملحد والمؤمن على حد سواء، لأنّه يتحرّك ضمن دائرة الإمكان العقلي، أمّا القسم الذي سيأتي بعد مسألة الموت، فيشكّل قطيعة أساسيّة ستفصل بين من سيرحل إلى أفق أرحب وبين من ستتوقّف به مسيرة الوعي عند حدود التّحطّم على صخرة الموت لأنّه يرى أنّ ما بعد الموت ليس إلاّ عبثا لا يستسيغه العقل.

والحقيقة أنّ العقل عاجز عن ولوج هذه العوالم الرّحبة لأنّ ملكاته تقوم على التّحليل والتّركيب والاستنتاج التي يزوّدها بها عالم الكون والفساد. وحقائق ما بعد الموت ليس لها مكان في البنية المنطقيّة للعقل لأنّ العقل يتحرّك ضمن مجال محدود لا يستطيع تجاوزه، وهو مجال الإمكان والحكمة القائمة في عمقها على فكرة السّببية والمرتبطة أساسا بالمعطى الحسّي.

أمّا المؤمن فيتحرّك ضمن مجال الحكمة إلاّ أنّه لا يقف عندها، لأنّه يرى أنّ هذا العالم الذي تتفاعل أسبابه تسيّره قوّة أساسيّة وتسيِّر أسبابه، فما هذه الأسباب إلاّ أدوات بيد القدرة لذلك لا يقف مع الأسباب وإن كان يتعامل معها.

والمتأمّل في مسألة الكفر والإيمان يرى أنّ هناك رابطة جدليّة قويّة تجمع بينهما، وهي التي تجعلهما يتبادلان المواقع في أحيان كثيرة لأنّ كلّ ملحد أو كافر هو بالأساس مؤمن، فهو يؤمن بالعقل أوّلا ويؤمن بأن لا شيء يمكن أن يتجاوز عالم الحسّ الذي يعانيه، وهذا الإيمان يقيّده ويمنعه من الخروج عن ربقة الأسباب، فيقصُر نظرُه عن رؤية ما وراء الأسباب، بل تكون الأسباب عنده عين الحقيقة وأصل الوجود لأنّه يستطيع متابعتها وفهمها، كما يتحوّل العقل عنده إلى معبود معنوي يلجأ إليه وقت الشّدائد والأزمات ويتوسّل إليه بكلّ الطّرق حتّى يمدّه بالحلول، التي تسكّن لواعج حيرته.

والمؤمن في حقيقة الأمر كافر بكلّ شيء يمكن أن يخالف إيمانه ومعتقداته فيرفض جملة وتفصيلا كلّ التّصوّرات التي تحاول أن تحصر الوجود في عالم الحسّ أو مجال العقل، ولا يكتفي بهذا الرّفض بل يعمل على محاربتها واستئصالها معتقدا أنّ هذا العمل يقرّبه من خالقه ويجعله يقفز إلى قمّة الإيمان، في حين أنّ هذا العمل يبعده عن الإيمان ويوصله إلى هاوية الكفر والخسران، لأنّه يقوم بعمل يتضمّن في عمقه استنقاصا للذات الإلهية، فإذا كان هذا الإله الذي يؤمن به عاجزا عن استئصال الملحدين، فهو

اهام خطير للذات الإلهية وهدم لأساس متين في المعتقدات الدّينيّة التي ترتكز على فكرة القدرة.

أمّا إذا كان يعتقد أنّه يد الله التي تبطش بأمثال هؤلاء فقد منح لنفسه تفويضا إلهيّا وأسبغ على نفسه صفة القداسة. وهذا التّفويض لم ينله الأنبياء إلاّ في حالات معيّنة ترتبط أساسا بالدّفاع عن النّفس. فتاريخ المسلمين مثلا لم يثبت أنّ الفاتحين الجدد أبادوا شعبا ما أو أرغموه على الدّخول في دينهم عنوة، بل عرضوا عليهم معتقداهم وحاولوا إقناعهم بالحجج المتاحة.

وبعد هذه الإلمامة الخاطفة بمسألة الإيمان الكافر والإلحاد المؤمن نواصل التّجديف نحو اكتشاف المجالات التي يفتحها الإيمان أمام الذات، لكن ما حقيقة الإنسان عامّة والمؤمن خاصّة؟ وهل إنّ توصيف الذات يخضع لمسألة الإيمان من عدمه؟ أليس الإنسان هو الإنسان؟ وكيف يمكن لتجربة الإيمان أن تقود صاحبها إلى اكتشاف عوالم أخرى لا يظفر بها إلاّ من أتمّ هذه التّجربة إلى منتهاها؟

إنّ الذات الإنسانيّة ترتكز في وجودها على هيكل مادي هو الجسد، هذا الجسد له جملة من المتطلّبات الماديّة يجب أن تتحقّق حتّى يستمرّ في الوجود، مثله مثل سائر الكائنات الأخرى التي يشترك معها في الجسميّة، وهذه المتطلّبات الجسديّة، هي

نفسها متطلّبات الغريزة، لذلك فإنّ الجسد والغريزة وجهان لعملة واحدة، فالغريزة تسعى لحفظ الحياة الإنسانيّة بمستوياتها المختلفة كالغذاء والتّناسل والحماية من الأخطار، وهو ما يجعلها شديدة الارتباط بعالم الحسّ، الذي تتزوّد منه بسائر طاقاتها.

لذلك هناك قسم من البشر يرون أنّ الغاية من الوجود أن يستمتع الإنسان بالحياة إلى حدّها الأقصى ويصيب من مباهجها كلّ ما يشتهيه دون التّقيّد بحدّ ، فإذا وصل الجسد إلى درجة الإشباع والتذّ بكلّ هذه المتع، فتلك هي السّعادة الكبرى عندهم، وهم أنصار مبدأ اللّذة عامّة.

إلاّ أنّ هذا التّصوّر قد يسيطر في أحيان كثيرة على مرحلة معيّنة من عمر الإنسان قد تطول أو تقصر، لكنّه يستيقظ عادة من سكرته وهذه اليقظة أو هذا السّؤال حول معنى الوجود وكيف يجب أن يعيش الإنسان حياته، هي مرحلة ميلاد العقل الذي استطاع أن يبصر الغريزة، ويميّز المتطلّبات الحقيقية التي يحتاجها الجسد، حتّى يواصل انتصابه في هذا الوجود، فالعقل في حقيقة الأمر منبثق من الغريزة، بل هو غريزة تمّ تهذيبها. وهذه الغريزة تتميّز بتعلّقها بالحياة، إلاّ أنّ اصطدامها بواقعة الموت يجعلها توقن بأنّ وجودها محدود في الزّمان. وهذا الشّعور بالنّهاية المحتومة يحرّك في الإنسان فطرته والفطرة كالغريزة أمر مركوز في أعماق الذات الإنسانيّة، فتقوده هذه

الفكرة إلى الإيمان بِمُنْشِئِ الوجود، ومثال ذلك قصة الأعرابيّ الذي سُئِل عن كيفيّة إيمانه فأجاب بكلّ عفويّة مستخدما حججا من بيئته الصّحراويّة فقال تدلّ البعرة على البعير والأثر على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلّ على الواحد القهّار.

فحجّة الأعرابي حول مسألة الإيمان تمزج بين ما هو فطريّ غريزيّ وبين ما هو عقلي استقرائي. فالفطرة إذا مالت إلى شيء ينشط العقل ليدعّمها ويوفر لها الغطاء المنطقيّ الذي يحفظ تماسكها لتصبح قاعدة الإيمان هي البداهة العقليّة التي يعبّر بها كلّ إنسان عن وجود الله، فوجود الله مسألة فطريّة لا تحتاج إلى دليل.

إلاّ أنّ هذا الإيمان الفطريّ يعجز عن معرفة مُنْشِئِ الوجود بجميع صفاته وكمالاته، لذلك عليه أن يستعين بهدى الأنبياء والرّسل لأنّ إحدى بنى العقل الأساسيّة تتمثّل في القياس، والله لا يخضع للقياس لأن القياس يتعلّق بالأمثال والأشباه والله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[1]، فمن اتّخذ العقل وسيلة لمعرفة الله سقط في التّمثيل والتّشبيه، لذلك تقول الحكمة "**كلّ ما خطر في بالك فالله خلاف ذلك**"، باعتبار أنّ العقل يستمدّ معارفه من عالم الحسّ فلا يستطيع أن يتصوّر الذات الإلهية إلاّ ضمن عالم

1- سورة الشورى، الآية **11**.

الأكوان أو خارجه وسواء أتصوّرها داخل الأكوان أم خارجها، فهو قد حيّزها أي حدّدها، وإذا حدّدها فقد ضبطها و"قهرها" والله ﴿**الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾[1].

إلاّ أنّ الإيمان الفطريّ يمثّل المرحلة الجنينيّة في التّجربة الإيمانيّة، والتي لا تكتمل إلاّ إذا حصّل الإنسان جميع شروط الإيمان، التي حدّدها وضبطها الوحي بشكل متسلسل ودقيق، وإذا اختلّت إحدى حلقاته سقط صرح الإيمان برمّته، لذلك فالإيمان كلٌّ لا يقبل التّجزئة، إلاّ أنّه يقبل النّموّ والتّطوّر في تقسيماته الجزئيّة، التي يتشكّل منها. فإذا عايش العقل حالة الإيمان وارتبط بمختلف تفاصيلها تخلّى عن بعض صفاته مثل الجدل والشّك والعناد ليطلق عليه اسما آخر ألا وهو القلب، لذلك نجد في القرآن ارتباطا متينا بين العقل والقلب كما هو الشّأن في سورة الحجّ إذ قرن الله بين العقل والقلب، فقال: ﴿**فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا**﴾[2].

وهكذا يصبح العقل حارسا للإيمان يقي صاحبه خطر الزّيغ عن درب الوحي فيقوم بمهمّة المراقبة والمحاسبة في المقام الأوّل. أمّا الوظيفة الثّانية التي يضطلع بها في هذا المستوى فكونه يقمع ويتصدّى لجميع الرّغبات الصّاعدة من أعماق الغريزة المصاحبة للذات والممتزجة بها.

1- سورة الأنعام، الآية 18.

2- سورة الحج، الآية 46.

لكنَّ النّجاح في هذه المهمّة مَنُوطٌ بمدى تشبّع العقل بالمسائل الإيمانيّة ومدى استجابة الجسد بحواسه المختلفة لهذه الأوامر، فإذا تمّت الاستجابة لأوامر المنع العقليّة والتي هي في جوهرها شرعيّة يمكن الحديث عن مسألة الإرادة. والإرادة في عمقها غريزة تمّ إزالة شأفتها وتوثبها بحكم سيطرة العقل على تطلّعاتها، فيمكن أن نشبّه الغريزة بالحيوان البرّي المتوحّش إلاّ أنّه بفضل التّدريب يتحوّل إلى حيوان منقاد يمكن التّحكّم فيه واستخدامه واستغلال طاقاته لكن لا نأمن أن يحنّ إلى طباعه من جديد.

لذلك على العقل أن يراقب مثل هذه الخواطر التي قد تتحوّل إلى أعمال ويتصدّى لها وقد ينجح حينا ويخفق أحيانا. وهذا الإخفاق يعني سقوط الذات في مستنقع المعصية والشّهوة، ومصدر هذه الشّهوات حسب القرآن النّفس الأمّارة بالسّوء الغارقة في بحر اللّذة. والسّقوط في بحر المعاصي لا يمثل نهاية المطاف بل على العقل المتمسّك بحبل الإيمان أن يعاود النّهوض من جديد حتّى يعود إلى الدّرب. وهذا التّمزّق بين الشّهوة الجامحة للذة وعهد الإيمان الذي لا يرضى بما تفعله نفسه الأمّارة بالسّوء يمثل مرحلة ميلاد طور جديد من أطوار النّفس أو العقل وهو طور اللّوم والعتاب المعبّر عنه في القرآن باسم "النّفس اللّوامة" والتي تأتي الشّهوات ثم تندم عليها. وهذا التّقلّب

هو حدود تحرّك القلب لذلك سمّي القلب قلبا نظرا لتقلّبه وعدم استقراره على حال واحدة، فالقلب هو درجة من درجات العقل.

فإذا استفاد القلب العاقل من عثراته وتعوّد كيف يجابه شهواته أوقف بذلك سطوة شهواته عند حدودها الشّرعيّة لتصبح هذه النّفس اللّوامة[1]، نفسا مطمئنّة لا تنظر إلى الثرى وإنّما تتطلّع إلى الثريّا. أي أنها تصبح راضية بكلّ أحكام الوحي متنعّمة بأعمال الشّرع فتسارع بتطبيق الأوامر بكلّ يسر وسرور، بل يكون اِتباع منهج الوحي قمّة المتعة واللّذة. وكلّ هذه المعاني يلخّصها الخطاب الإلهي للنّفس الوارد في سورة الفجر: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَآدْخُلِي فِي عِبَادِي وَآدْخُلِي جَنَّتِي**﴾[2].

وهنا تظهر صفات القلب جليّة، وهذه الصّفات ترتكز أساسا على التّسليم والتّوكلّ والتّفويض، إلاّ أنّه يظلّ يراوح بين شُعَبِ الإيمان المختلفة، فيسعى إلى إحكام أصل الإيمان بالله. وهذا الإيمان يتطوّر بالذكر والفكر حتى يصبح يقينا إلى درجة تصل إلى المشاهدة والعيان، فما هو مغيب يصبح حقيقة واقعة في أعماقه يراها بعين البصيرة.

1– قال تعالى: ﴿لا اقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوّامة﴾"، سورة القيامة، الآية 1، 2.

2– سورة الفجر، الآيات: 27-28-29-30.

والبصيرة في هذا المقام ترادف معنى الرّوح، فالرّوح لا تظهر إلاّ عند اكتمال الإيمان المصحوب بالإيقان، وما كان قبل هذه المرحلة فمجرّد بروق خاطفة لا تستمرّ طويلا مع الذات سواء أكانت هذه الذات مؤمنة أم تدّعي الإلحاد.

وتظهر الرّوح في مواقف معيّنة أو حالات خاصّة تعتري الذات كالرّؤى مثلا. فالتّصوّر الإسلامي يفصل بين الحلم والمنام ويرى أنّ الحلم من الشّيطان والنّفس، في حين أنّ الرّؤيا أو المنام من المبشّرات، وهي الخيط الواصل بين عالم الغيب وعالم الشّهادة، وفي المنام تتجلّى طاقات الرّوح اللاّ محدودة، لأنّ الرّوح من ﴿أَمْرِ رَبِّي﴾[1] لذلك فأطول المشاهدات التّي يراها النّائم قُدِّر علميّا أنّها لا تتجاوز الدّقيقة، إلاّ أنّ هذا النائم يستطيع أن يقص رؤياه في ساعات.

فالرّوح في حقيقة الأمر ليست أمرا غريبا عن الذّات الإنسانيّة، وإنّما هي كامنة فيها، إلاّ أنّها لا تتجلّى إلاّ بانزياح النّفس وتحديد انزياح بعض صفات النّفس. حينها تظهر الرّوح مشعّة مضيئة فلا يمكن ملاحظة ضوئها إلاّ إذا كانت المشكاة التي ستعكس النّور نقيّة شفافة. أمّا إذا كان بلّور المشكاة معتّمًا مسودّا فلن يلحظ أحد هذا النّور. فظهور الرّوح مرهون بمدى قدرة كلّ إنسان على تعهّد بلّور مشكاته، وهذا

1- سورة الإسراء، الآية 85.

التّعهّد يتمثّل في أن يجنّبها كلّ ما يمكن أن يلطّخ صفاءها، وهذه المحافظة لا تتمّ إلاّ بالالتزام بتعليمات الوحي سواء ما تعلّق منها بالفرائض أو بفضول القول والعمل.

فالحوّاس مثلا من عين وأذن ويد ورجل هي بمثابة الجداول التي تصبّ في بحر القلب، فعلى الإنسان مراقبة هذه الجوارح ومنعها من اجتراح الآثام التي يمكن أن تؤثر في صفاء عين القلب فتؤثّر في توهّج الرّوح. والآثام في حقيقة الأمر تترك آثارها في القلب على شكل نقاط سوداء كما بيّنت ذلك السّنة الصّحيحة، فكلّما كثرت هذه الآثام اسودّ بلور المشكاة وقلّت فرص ظهور النّور لتحجب الرؤية عن عين القلب لذلك نجد القرآن يصف مثل هذه القلوب "بالعمى"[1] ويعتبر أنّ هذه القلوب يعلوها "الرّان"[2].

فإذا استمرّ هذا الصّنف من النّاس في غيّهم و لم يتوبوا طبع الله على قلوبهم[3]، فهم "صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ"[4]. لذلك يطهّر الله الأنبياء تفضّلا منه فيترع من

1- قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، سورة الحج، الآية 46.

2- قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، سورة المطففين، الآية 14.

3- انظر سورة التوبة: 87، سورة النحل: 108، سورة محمد: 16 سورة المنافقون: 63.

4- البقرة: 18.

ذواهم كلّ حظّ للنّفس والشّيطان، ولا أدلّ على ذلك من أنّ رسول الله شقّ على صدره زمن الطّفولة* واستخرج من قلبه علقة تمثل حظ الشّيطان[1].

وهو ما يجعل الأنبياء أكثر البشر يقظة بحكم استعداداهم الخاصّة، لذلك تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم. وهذه اليقظة تنطلق من مرحلة ما قبل النبوّة وهي مرحلة الإرهاصات التي تبدأ فيها الرّوح بالظّهور والاعتكاف على خالقها، فتأتي الرّؤى "مثل فلق الصّبح"[2] وتميل النّفس إلى الخلوة والتبّتل.

فالأنبياء لا تنقطع صلتهم الذاتيّة بالله لأنّ أرواحهم مستغرقة في عظمته وإن كان يمكن للوحي أن ينقطع عنهم ولو لمدّة طويلة. وهذا ما يدفع الشّبهة التي يعتقدها بعض الناس من أن الصّلة الرّوحيّة بين الله والنّبيّ مقصورة على فترة الوحي فهذا وهم فاحش لأنّ الوحي في حقيقة الأمر ليس مسألة خاصّة بالنّبيّ وإنّما هو إذن بالتّبليغ لعامّة النّاس، لذلك فإنّ الغفلة لا تعتري الأنبياء إلاّ بصفة عرضيّة أو لحكمة.

والحقّ أنّ كلّ إنسان له حظّ في هذه الصّلة الرّوحيّة شرط الإقبال على الله بصدق وعلوّ همّة وهذا الصّدق لا يستشعره إلاّ المتوجّه إلى الله من نفسه لأنّ الإطّلاع

---

* شق على صدره عليه الصلاة والسلام، مرّة ثانية ليلة الإسراء، انظر صحيح البخاري، باب المعراج، ص 4/248.

1- انظر سيرة ابن هشام، ص 1/302، دار الجيل د.ت.

2- صحيح البخاري، ص 1/3، دار الفكر 1981.

على القلوب ليس بمقدور البشر وإنّما البشر يحاول بعضهم الحكم على بعض،من خلال قرائن ظاهرة قد تبيّن صدق صاحب كلّ نيّة.

وعموما فإنّ النيّة هي روح كلّ عمل سواء أكان هذا العمل تعبّديا أم دنيويّا لأنّها تمنح العمل وجودا وتجسيما لا في عالم الملك فحسب، بل إنّ هذه الرّوح التي أنجزت بها الأعمال تمنحها الخلود حتّى في عالم الغيب ويبقى هذا العمل ينفق على صاحبه حتّى بعد موته وهي الأعمال المسمّاة في الإسلام "بالصّدقات الجارية"، مثل تلقين العلم بصدق أو بناء بيوت العبادة، كما أن هناك بعض الأعمال البسيطة في ظاهرها إلاّ أنّ أصحابها صدقوا في فعلها فكانت سببا في دخولهم الجنّة مثل إزالة شوك من الطّريق أو إرواء كلب ظمآن أو أداء ركعتين في جوف اللّيل.

لذلك فالأعمال تعتبر صورا جوفاء إذا خلت من الإخلاص وكذلك الإنسان يعدّ هيكلا حيوانيّا لو خلا من الرّوح لكن ما حقيقة الروح؟.

إنّ الحديث عن جوهر الرّوح، ليس في مقدور البشر، خاصّة أنّ السّؤال حول ماهيّة الرّوح سأله اليهود للرّسول الأكرم فصمت إلى أن أسعفه الله بالإجابة فجاء الوحي قائلا: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1].

1- سورة الإسراء، الآية 85.

وهذه الإجابة تسدّ الطريق أمام كل الإجابات التي يمكن أن تتناول ماهيّة الرّوح. لذلك فإضافة "أمر" في الآية إلى اسم الجلالة كان على "معنى لام الاختصاص أي أمر اختص بالله اختصاص علم"[1]، إلاّ أنّها تبيح الحديث عن طاقات الرّوح اللامحدودة ومظاهرها المختلفة وحتّى هذا الحديث عن الطاقات والمواهب والمظاهر ليس متاحا للجميع، وإنّما يدخل تحت طائلة التّحديد القرآنيّ ﴿**وَمَا أُتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾[2]. فصنف من البشر أوتوا شيئا من العلم يمكنهم أن يتطرّقوا لمثل هذه المسألة المبهمة كما هو الشّأن في عدد فتيّة أهل الكهف الذين قال فيهم الله ﴿**قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعُدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[3]، فقال ابن عبّاس: "أنا من القليل الذي استثنى الله"[4]، وكان يرى أنّ عددهم سبعة.

فولوج هذا الباب تكتنفه أخطار عظيمة لعلّ أهمّها الكذب على الله أوّلا وخداع النّاس ثانيا، خاصّة أنّ هذا الباب يغري الكثيرين قديما وحديثا. ولعلّ الحديث عمّن يملكون طاقات روحيّة خارقة لم يَخْبُ عبر التّاريخ فيصبغون على أنفسهم صفة القداسة، ولعلّ قمّة الابتذال في هذا الباب، يخصّ الذين يدّعون امتلاكهم لقدرات

1- ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ص 15/198، دار سحنون، د.ت.

2- سورة الإسراء، الآية 85.

3- سورة الكهف، الآية 22.

4- ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ص 3/1125، دار الفكر، 2004.

روحيّة خاصّة، ويسمّون أنفسهم معالجين روحانيين، ونتعثر في إعلاناتهم صباحا ومساء في جلّ الصّحف العربيّة حتّى أنّ هناك صحيفة تونسيّة اختصّت في نشر مثل هذه الإعلانات. فهؤلاء في حقيقة الأمر ليسوا إلاّ مخادعين أو مخدوعين، وهذا لا يعني أنّنا ننكر الرّقية الشّرعيّة كما حدّدها السّنة الصّحيحة.

وإنّما هؤلاء يتحرّكون خارج إطار الشّرع أصلا، ويستمدّون طاقاتهم من مجال النّفس لا من مجال الرّوح، لأنّ الإنسان في هذا العالم لا يعيش وحده، ومن الحمق الاعتقاد أنّ قدرة الله في الخلق تقف عند حدود خلق الأنواع الحيّة الثلاث التي نعرفها، وهي الإنسان والحيوان والنّبات، لأنّ جنود ربّك لا يعلمهمْ إلاّ هو[1]، فخلق الله مثل أسمائه الحسنى، فهي ليست مائة كما يعتقد البعض، بل توجد أسماء استأثر بها الله في علم الغيب، وبعضها الآخر يعلمه خاصّة خلقه.

ومن هذه المخلوقات التي أخبرنا بها الشّرع نجد على الأقلّ عالمين آخرين، وهما عالم الجنّ وعالم الملائكة، فعالم الجنّ مماه لعالم الإنس، لكن بين العالمين هناك برزخ يمنع الاختلاط والتماس بين العالمين، كما هو الشّأن في مجال البحار إذ نجد قسما مالحا والآخر عذبا ولا يختلطان: ﴿**هَذَا عَذبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا**

---

1 – قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾، سورة المدثر، الآية 31.

وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾[1]. بل أكّد النبيّ أنّ لكلّ إنسان قرينا من هذه الطّائفة، وإنّما التّداخل بين العالمين لا يتمّ إلاّ عند تطفّل أحد أفراد الإنس أو الجنّ على العالم الآخر.

فالجنّ مخلوقات لطيفة لا نستطيع رؤيتها وإن كانوا هم يروننا، فما لا يمكن رؤيته لا نستطيع أن ننكره، ولا أدلّ على ذلك من أنّ الذرّات أو بعض الجراثيم لا نستطيع رؤيتها بالعين المجرّدة رغم أنّها موجودة وتؤثّر في العالم من حولنا بل وتشكّل أحد أركانه.

فالاتّصال بين عالم الجنّ والإنس إمّا أن يكون مقصودا أو بصفة عرضيّة والتي نستطيع أن نسمّيها "بالحوادث" نتيجة الأخطاء غير المقصودة التي يرتكبها البشر في حقّ الجنّ الذين يشاركوننا المكان من خلال بعض الأعمال التي يتأذون منها مثل التّبوّل دون التّحصّن بذكر الله. لذلك جاءت السّنة مؤكّدة على آداب قضاء الحاجة وأن يستحضر من يقضي حاجته الدّعاء النّبويّ "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ"[2]. وقد فسّر بعضهم الخبث والخبائث بأنّها ذكور وإناث الجان.

حينها يتسلّطون على من أذاهم كنوع من الانتقام خاصّة أنّهم كانوا طَرَائِقَ قِدَدًا منهم المؤمنون ومنهم الكافرون بصريح القرآن. فالجان في حقيقة الأمر أضعف من

1- سورة الفرقان، الآية 53.

2- سنن ابن ماجه، ص 49، دار ابن حزم، ط 2001/1.

أن يتسلّطوا على بني البشر، بل يخافون النّاس كما نخافهم نحن ولا يتسلّطون إلاّ على ضعاف النّفوس ومن يشكون خوفا مرضيّا.

لذلك يمكن تسخير هذه المخلوقات لخدمة الإنسان إذا عمد هذا الإنسان إلى جملة من الأوراد والتّسبيحات والأدعية[1] المستمدّة أساسا من أسماء الله الحسنى ولنا في قصّة نبي الله سليمان خير مثال على ذلك إذ كانت طوائف الجان تقوم بأعمال البناء في البرّ والبحر.

وهذا الأمر ليس خاصّا بالمسلمين بل نجده في جلّ الدّيانات الأخرى ولا أدلّ على ذلك من تمسّك رهبان النّصارى أو اليهود بدينهم نتيجة ما يجدونه من الأعمال الخارقة التي تقع لهم في خلواتهم فيوهمون أتباعهم أنّها كرامات ودليل على صدق دينهم.

وأمثال هؤلاء في الوطن العربيّ والإسلاميّ يوهمون من يقصدهم بأنّهم يتّصلون بعالم الملائكة. وهذا كذب وافتراء لأنّ الملائكة لا يمكن تسخيرها ولا سلطان لأحد عليها فهم **﴿لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾**[2]. فهم تحت تصرّف المولى دون سواه، وإن كان يمكن أن يظهروا لطوائف المؤمنين كنوع من التّأييد

1- وهذا الصنف من الرياضة، محرّم في الإسلام، لأنه يجعل أسماء الله الحسنى مطية لأغراض دنيئة.

2- سورة التحريم، الآية 6.

والتّمكين كما وقع للمسلمين في معركة بدر إذ شارك في هذه المعركة خمسة آلاف من الملائكة "مُسَوَّمِينَ" يقودهم جبريل على متن فرسه "حيزوم" وقد تعمّم بعمامة خضراء[1].

وإنّما هؤلاء المعالجين يكون اتّصالهم مع طوائف معيّنة من الجان يتبادلون فيما بينهم المنافع فالمعالج يقدّم لهم الطّعام[2]، وهم يقدّمون له "معلومات"، هي عند البشر من المغيبات وعند الجان من المعلومات كما يمكن أن يطلبوا من المعالج أعمالا منافية للشرع أصلا إن كانوا من غير المؤمنين.

ولرفع اللّبس حول كلمة الروحانيين التي يسعى هؤلاء المعالجين إلى إلحاقها بأسمائهم نبين أن الروحاني هو أحد طوائف الجن الذي تخلص من شهواته الحسية فصار روحا، لأن الجان كائنات لطيفة تتكوّن من نفس وروح عكس الإنسان الذي يتألف من كثيف وهو الجسم ونفس وروح، أما الملائكة فهي روح محض أي خير مطلق لذلك يسعى الإنسان إلى التّشبّه بالملائكة وفي أحيان كثيرة بتفوّق عليها لأنّه مخيّر وله القدرة على التّعلّم والعمل، لذلك أسجد الله له الملائكة.

1- انظر سيرة ابن هشام، ص 181، 3/182.

2- انظر صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالحجارة، أن النبي منع استعمال العظم أو الروث في الاستنجاء، لأنه طعام أهل الجان.

وحتّى نتبيّن طاقات الرّوح نأخذ الملائكة مثالا، فالملك المكلّف بقبض الأرواح والذي لم يذكر القرآن اسمه إلاّ أنّ الآثار بيّنت اسمه وهو "عزرائيل" يقبض أرواح جميع العباد في جميع أصقاع الأرض، وهو أمر يتجاوز إدراك العقل لأنّ طاقات الرّوح لا حدّ لها فهي من أمر الله. لذلك نجد صنفا من المؤمنين كلّما قوي إيمانهم برزت أرواحهم فيصبحون أشبه بالملائكة فينهار أمامهم جدار الزّمان والمكان فيقطعون مسافة أميال في طرفة عين، ويسمّون "بأصحاب الخطوة" عند طوائف المتصوّفة، خاصّة ولنا في قصّة الإسراء خير مصدّق لذلك، فقد قطع الرّسول الأكرم المسافة الفاصلة بين مكّة وبيت المقدس في جزء من اللّيل، وهو ما لم تقبله عقول أهل قريش حينها، وحتّى عقول بعض المؤمنين، الذين يحاولون تبرير هذه الرّحلة بأنّها تمّت روحا فحسب أي مناما، وهو أمر يتعارض ومبدأ الإعجاز لأنّ أيّ إنسان يمكن أن يكون له نصيب من الرّؤى.

في المعراج قطع الرّسول المسافة الفاصلة بين السّماوات السّبع وصولا إلى سدرة المنتهى التي لم يصل إليها أحد من البشر، وهي مساحات ومسافات هائلة يعجز العقل عن تصوّرها، ففي هذه الرّحلة سقط جدار الزّمن لأنّ لحظاتٍ عند الله تساوي آلاف السّنين وفق المنظور الزّمني الإنساني، فكلّما اقترب الإنسان من الله تقلّص الزّمان ليصل إلى درجة الصفر لأنّ الله هو الأوّل والآخر. والقرب هنا ليس قرب مسافة بل

هو قرب روحيّ لذلك نجد في القرآن ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

وحتّى العلم اليوم وفق نظريّة آنشتاين أثبت أنّ الإنسان لو صنع صاروخا يسير بسرعة الضوء[2] لكانت سنة داخله تساوي مائة سنة على الأرض لكن الإشكال في تطبيق هذه النّظريّة يتمثّل في أنّ الصّاروخ والبشر الذين بداخله يتحوّلون إلى طاقة، فيمكن لصاروخ بهذه السّرعة أن يدخل من ثقب باب!!! لذلك لَمَّا عاد الرّسول صلى الله عليه وسلم من رحلة الإسراء والمعراج وجد فراشه مازال دافئا رغم ما حفت بهذه اللّيلة من أحداث ومشاهد عظام، أفردت لها بالتّأليف مصنّفات خاصّة تتطلّب قراءتها ساعات.

كلّما ضعفت الحواس برزت الرّوح وسيطرت ولا أدلّ على ذلك من حالات النّوم، ففي حالة النّوم يجوب الإنسان عوالم ليس له بها علم سابق حتّى أنّ المؤمن الذي ينام على طهارة تبقى روحه طوال اللّيل ساجدة تحت العرش، ولا تعود إلى الجسم إلاّ مع استيقاظه وهو ما يسمّى بعروج الرّوح المتضمّن في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ

1- سورة الحج، الآية 48.

2- سرعة الضوء هي: 3×10^8 أي ثلاث مائة ألف كلم في الثانية، لذلك هناك من يرى أن أهل الجنة يتحركون بسرعة أكبر من سرعة الضوء، مما يوقف تأثير الزمن عليهم، وهو يفسر قوله عليه الصلاة والسلام "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها." (صحيح البخاري: باب صفة الجنة والنار، ص 7/201.)

﴿وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]. وإن كانت الرّوح المذكورة في هذه الآية يرجَّح أنّ المقصود بها سيّدنا جبريل كنوع من التّمييز والتّشريف الإلهي له، إلاّ أنّ صاحب التّحرير والتّنوير جوَّز إطلاقه على الرّوح الإنساني فلا شيء يمنع اجتماع المعنيين[2].

لذلك فالرّوح في المنظور الإسلامي لا ينالها الموت أبدا، وإنّما الموت يتعلّق بالجسد، فالميّت يعي بكلّ من حوله كما بيّنت السّنّة الصّحيحة، حتّى أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم خاطب صرعى بدر من المشركين[3].

فالرّوح منذ خلقت -وقد خلقت قبل الأجساد- تتمتّع بصفة الخلود لشرفها عند الله. لذلك يحوّل الله الحيوانات بعد الحساب إلى تراب، يومها ﴿يَقولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[4]. فتصوُّر الرّوح يصعب على العقول، وإنّما العقول تسعى إلى تتبّع مظاهر الرّوح وتجلّياتها. ولتوضيح هذه المسألة نعقد مقارنة بين العقل والرّوح رغم اختلافهما في الدّرجة واتّحادهما في النّوع، فالعقل بعمليّاته الذهنيّة المختلفة يرتكز في وجوده وسلامة استنتاجاته وتصوّراته على عنصر حسّي وهو الدّماغ.

1- سورة المعارج، الآية 4.

2- انظر التحرير والتنوير، تفسير سورة المعارج، ص 29/157.

3- صحيح مسلم، ص 1418، مكتبة الإيمان، د.ت.

4- سورة النبأ، الآية 40.

وقد أجمع العلماء اليوم على أنه لصناعة آلة يمكن أن تقوم بمختلف العمليات المعقدة التي يقوم بها العقل يجب أن تكون هذه الآلة في حجم الكرة الأرضية !!!فما بالكم بالرّوح التي لا تركز في وجودها على جانب مادّي، وإنّما هي من نفخ الله، وإن كان الجسد بالنّسبة للرّوح، بمثابة الإناء والوعاء، فلو تحطّم هذا الإناء لا تتلاشى الرّوح بتحطّمه، لذلك فالحجم المرتبط بعالم الأجساد تختلف إحداثيّاته في عالم الرّوح، ولا أدلّ على ذلك من أنّ هناك من الملائكة ما بين أذنه وكتفه مسيرة خمس مائة عام، وصنف آخر من الملائكة، لو وضع رجله على الأرض فلن يجد مكانا ليضع فيه رجله الأخرى.

خـــــــــاتـــــمـــــة

وهكذا يمكن القول، إنّ الرّوح الإنساني يختزل طاقات رهيبة، تنتظر دورها للخروج من قمقم الجسد حتّى تكتشف عوالم الله التي لا حدّ للعدّ فيها لأنّ قدرة الله فوق العدّ والإحصاء. وإنّما الرّوح هي وسيلة اكتشاف وضعها الله في الإنسان وهي أصل تكريمه، فإن أهملها فكأنّما أدار ظهره للنّور وتوجّه للظّلمة يبحث فيها عن آثار النّور فيبقى دهرا ليحصّل ما يمكن أن يحصّله بفضل الرّوح في زمن يسير.

كما إنّ للرّوح دورا حيويّا في فهم هذا العالم الحسّي وقيادته بأن تصبح هي المسيطرة على الوجود الإنساني من خلال سيطرة الرّوح على الجسد والنّفس فتقود البشريّة إلى درب الأمان وتبعدها عن مجال الصّراع والشّهوات. فشهوة السّلطة والقمع والحرب ما هي في حقيقة الأمر إلاّ شهوات الغريزة التي صارت تحكم العالم. لذلك تحوّل العالم إلى غابة يحكمه الأقوى اقتصاديا وعسكريّا لأنّ الرّوح مغيّبة في كلّ هذه الأعمال، خاصّة وأنّ العقل الذي يستند على جملة من الغرائز صار يتمتّع اليوم بقوّة تبريريّة قادرة على قلب الحقائق وجعل الوجود الإنساني محصورا فيما يكتشفه ويصنعه زيادة على سطوته المرعبة في مهاجمة كلّ من يحاول فتح باب الرّوح ناعتا إيّاه بالتّخلّف والرّجعيّة.

وعزائي الوحيد في هذا الكتاب أنّي فتحت العيون على إمكانيّة ملامسة الرّوح والعيش في ظلّها دون أن أدّعي القدرة على إقناع كلّ المجادلين. ويظلّ الحديث عن الرّوح حديثا مغريا يستفزّ كلّ ذات تسعى إلى فهم نفسها وتغيير ما حولها، وليبق هذا الكتاب مجرّد نافذة صغيرة فتحت المجال أمام نظرة جديدة للإنسان والعالم، فهو بمثابة مقدّمة لمشروع ضخم أروم تحقيقه، وهو تقديم فلسفة الرّوح في ثوب شرعيّ قشيب يطلّق أساليب الإبهام والغموض ويقطع مع عقليّة الإقصاء والتّهميش التي تصف جمهور النّاس بالعوّام والغوغاء الذين لا يفهمون شيئا.

هو أبسط خدمة أستطيع أن أقدّمها لأمّتي وللبسطاء من أبناء وطني لأنّي موقن في أعماقي بفضل كلّ تونسيّ على ذاتي، فكلّهم أرى فيهم صورة أبي وهم كلّهم ساهموا في الإنفاق عليّ حسّا ومعنى، ومن حقّهم عليّ أن أبسط لهم ما يعرفونه، فالمعرفة هي حقّ للجميع لا يمكن لأيّ إنسان احتكارها أو أن يستعلي بها على غيره.

لذلك فإنّي أرى من موقعي المتواضع، أنّ الفلسفة التي يمكنها أن تعبر عن مضامين الإسلام فيكتب لها القبول عند الخاصّ والعامّ، يجب عليها أن تتجاوز الإرث الفلسفي الإسلامي بمعناه الإصلاحي الذي يحصر الفلسفة في بعدها العقلي النّظري فيجعلون من العقل وسيلة وغاية.

وإنّما الفلسفة الجديدة يجب أن تنبع من نصوص الإسلام كممارسة وتذوّق فتصبح هذه النّصوص هي الأصل والعقل يعيش في ظلها باعتبار أنّ النّص يمثّل الرّوح والرّوح أعلى درجة من العقل، فلا يبقى أمام العقل إلاّ فهم أوّليّات النّصوص الإسلاميّة وتطبيق تعاليمها، لينتقل من النّظر والفهم إلى العمل والسّعي، وليس هناك غاية أسمى من معرفة الله كما أرادنا الله أن نعرفه لا أن نعرفه وفق هوانا وعقولنا. ولذة المعرفة لا تضاهيها أيّ متعة في الحياة خاصّة إذا انطلقت انطلاقة سليمة تعتمد هدى الوحي.

فكيف السّبيل إلى تأسيس معرفة فعّالة وعمليّة قادرة على تحقيق المصالحة بين الإنسان وذاته من جهة وبين الإنسان وعالمه من جهة أخرى؟

الملحق الأول.

مقال الروائية نجاح زقية والمنشور بمجلة الإتحاف

عدد 193، مارس 2009.

قراءة في كتاب ظهور الرّوح

-بين التجليات الدينية وطرافة النص الأدبي-

القارئ لكتاب "ظهور الروح" للباحث محمد الرزقي يدرك للوهلة الأولى أنه أمام نص تحكمه الخلفية الدينية وتسوقه النزعة الصوفية المعبرة عن روح الإسلام. ولا غرابة أن يتبادر للذهن هذا الرأي، فالمؤلف باحث في حقل الفلسفة الإسلامية وسبق له أن قدم كتابين يتصلان بالمباحث الصوفية من وجهة نظر أكاديمية، الأول بعنوان "تصوف الحارث المحاسبي" والثاني بعنوان "حقيقة الموت عند الصوفية".

بيد أنه يقرر في كتابه الأخير موضوع هذه القراءة أن يتخذ منحى عمليا يجسم المعاني الإنسانية السرمدية ويقربها إلى الأذهان بلغة محببة مستساغة وبذلك فـــــــــــ "الكتاب مفتوح أمام الجميع قراءة ومحاورة ونقدا، فلن يقصي أحدا ولن يخيف أحدا". ونسعى من خلال قراءتنا إلى محاولة سبر المعاني المنشودة، وتقصي أثرها على الصعيد الواقعي، مع رصد مؤشر النجاح في المواءمة بين النص الديني والنص الأدبي من ناحية، ومن ناحية ثانية مدى القدرة على تقديم ظاهرة الروح أو فلسفة الروح في ثوب شرعي يقترب من فهم العامة، وهو الهدف المراد من قبل المؤلف...

نستشف عبر عنوان الكتاب "ظهور الروح" رغبة المؤلف في إظهار ما هو خاف ومحتجب، وطموحه لكشف المستتر الغامض، كما نستشعر من خلال عبارة ظهور "المغرية" في سياق اقترانها بالروح احتمالية وجود إجابة عقلية مقنعة حول ماهية الروح التي مازالت من بين الإشكاليات المحيرة للإنسان. وتعتبرها الثقافة الإسلامية بمقتضى نص القرآن الكريم من أمر الله: "ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي". فبطريقة مقصودة أو غير مقصودة يتباعد القارئ منذ البداية عن مسلماته الدينية وإرثه الثقافي وذلك نتيجة الربط بين لفظ الظهور وما يكتنفه من مكاشفة ورؤية، وعبارة الروح وما تختزنه من غموض وقدسية، وهكذا يبدو سعي الكاتب لتقديم مقاربة جديدة وطريفة ومحفزة للقراءة، ومتى تتبعنا محتوى الكتاب نجده قد انقسم إلى أربعة فصول بالإضافة إلى المقدمة والخاتمة والفهارس، ويتضح انطلاقا من المقدمة موقف حضاري تجاه الوضع الراهن للعنصر البشري، هذا الكائن الذي "شيَّأته" إرهاصات العزلة وزجت به في متاهات المادية والغربة والتهميش بحيث تحجب جوهره الإنساني التواق للقيم العليا "الخير والمحبة والجمال"، ولم تعد تبرز منه سوى المظاهر والقشور، وحاول الكاتب صياغة مخرج للأزمة متمثلا في التربية السليمة التي تعيد الاعتبار للحياة الفكرية والروحية لدى الإنسان، كما تضمنت المقدمة تلخيصا عاما لمحتوى الأثر ولكن

أهميتها تكمن أساسا في كشفها المبدئي عن لغز العنوان وعن مكان اختفاء الروح، فتزيح أي التباس.

وتشير المقدمة إلى أن الكاتب لن يبحث في حقيقة الروح وماهيتها بطريقة تقطع مع الرؤية الإلهية ولا هو يدَّعي إعطاء تفسير مبتكر لمبحث ستظل العقول البشرية جمعاء عاجزة عن استيعابه خارج المنازع الدينية، وإنما سيتعامل مع المسألة بأسلوب بسيط ومن زاوية إسلامية صرفة مؤمنا بأن الرّوح تبقى سرّا إلهيا مكنونا وإليها تنتسب جميع الأخلاقيات المتصلة بالقيم والمثل العليا. والإنسان خليفة الله في الأرض ويتحمل مسؤولية تامة وحكمة سامية للحفاظ على شفافيتها ونقائها من جميع الشوائب، فالباحث إذن بعد أن "خاتل" القارئ عبر العنوان تلك المخاتلة الطريفة والشريفة والمثيرة للفضول، يعرج وينبه عن طريق المقدمة وباقي الفصول إلى مدار الأفكار والتصورات وهو المدار الإسلامي الذي يراه محتكما إلى ثنائية العقل والروح وإن كانت الروح أعلى درجة من العقل، كما أكد مرارا على أن الشريعة الإسلامية هي المخرج الحقيقي والسبيل المتاح للخلاص من متاهات الغرائز والضلال والانفصال عن الذات وعن العالم، إذا استطاع الإنسان تحويلها من نظرية إلى نمط حياة على المستوى النفسي

والواقعي. وتجدر الإشارة إلى أن الفصول الأربعة لكتاب "ظهور الروح" هي كالآتي: حقيقة الكتابة/حكاية قبل البداية/الوعي ومراقيه/أطوار الروح.

ولعل القارئ الشغوف بأدبية النص من حيث بنيته اللغوية ومتانة حبكته الفنية من الشغف بالمفاهيم العقلية والفلسفية أو الدينية ذات الصلة بالشرائع والأحكام وهي مفاهيم نجح المؤلف إلى حد بعيد في تقديمها بأسلوب مبسط أو سهل ممتنع وفيا بذلك لهدفه الأساسي: تقريب الرؤية الإسلامية من أذهان الجمهور فيما يتصل بظاهرة الروح وغيرها من المسائل الدقيقة والإشكاليات العويصة، وإن تراءى غير متخلص من أسلوب المحاكمة الاجتماعية والحضارية ومن النزعة الإرشادية الواعظة وما يستوقف القارئ المذكور أنفا كما قلنا، هو قدرة الكاتب على إقامة جسر بين البعد الديني وطرافة النص الأدبي، ويبرز ذلك من خلال الفصل الثاني على وجه الخصوص لأن حكاية قبل البداية تبدو حكاية أدبية بتميّز وتستوفي إجمالا شروط النص القصصي من حيث الأسلوب السلس والطريف الذي يذكر بأسلوب الجاحظ وابن المقفع، إذا اللغة عربية معتّقة، والأدوات الفنية تعتمد على المجاز والاستعارة، والتشويق وغيرها من الوسائل وقد أكسبت هذا الفصل بالذات روح الأقصوصة في أجمل صورة، مما يدعونا لترك باب الفضول مفتوحا أمام القرّاء لحسن الإطلاع على الكتاب برمته، والحث على التأمل فيه

لأنه أثر قيّم يستحق أكثر قراءة ومحاورة،مثلما يستحق النقل إلى أكثر من لغة، على الأقل لمحاولته تقديم رؤية إسلامية بسيطة وأصيلة، حول جملة من القضايا الراهنة والظواهر الغامضة بطريقة معاصرة وشيقة تعبق بلاغة وحسن بيان وهذا ما نحن بحاجة ماسة إليه.

الملحق الثاني:

ملخص رسالة الأستاذ الدكتور صالح الداسي

(2007)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعد التحية والتقدير وتمني لكم السلامة وحسن القبول والتوفيق هذه بعض ملاحظات محبكم صالح الداسي:

- ✓ لقد وفقت في ذكر التربية ومالها من دور في صقل العقل والإرادة باعتبار أنه لا عقل بدون إرادة ولا إرادة بدون عقل وتأهيل، ولكن أيضا لا إرادة بدون حرية. وكان عليك لما تناولت مسألة الإرادة أن تشير إلى الشعور واللاشعور.
- ✓ تكلمت عن الطفل والمعرفة، وكان عليك أن ترجع إلى الكتاب "تربية الإنسان الجديد" للدكتور فاضل الجمالي وزير التربية العراقي الأسبق الذي درّسني مادة الفلسفة.
- ✓ لاحظت أنك في هذا الكتاب تعيش هموم العصر. وهموم الواعي بقضايا العصر ومشاغل إشكالية الكتابة الواعية وهو في نظري مسلك صعب ومركب وشائك لا يرتاده إلا المضحون، وهو ما استشعرته من خلال الصفحتين 18 و19 بصفة خاصة ومن الكتاب كله بصفة عامة.

ملاحظات حول الفصل التمهيدي:

✓ أدركت في هذا الفصل أنك تحمل ثورة هادفة خاصة عند مقارنتك بين المتكسب بشعره والمتكسبة برقصها في المجال الثقافي فهذه ثورية متفتحة وخطيرة.

✓ لقد أثرت جملة من الأسئلة في الصفحة 24 منها لمن نكتب؟ ولِمَ نكتب؟ وهل الكتابة فرض عين أم هي من فروض الكفاية؟ وتركتنا نتشوّف للجواب...

ملاحظات حول الفصل الثاني: حكاية قبل البداية:

✓ أدركت في هذا الفصل مدى تأثير ابن المقفع فيك وذلك في سياق حديثك عن الحيتان والأسد والفأر والذئاب والثعابين والدجاجة الأهلية والضفدعة والحيات...

✓ اتضح لي والله أعلم أنك "تسعى لمحاصرة الوعي واستنطاقه حول مكان إخفاء الروح لتظهر الروح بطلا بلا منازع وغاية قصوى لفعل الكتابة"، إنها المثالية التي نطلبها، وإن تركت الشباب يغطون في النوم وتوجهت نحو الشيوخ الذين يرحلون إلى الدار الآخرة "سكوتا". ألا ترى في هذا الموقف استسلاما أو نفاقا خاصة إذا استحضرت قول الشاعر:

إذا كان النفاق عليك فرض **** فأفضل ما تقول هو السكوت

✓ "إن هؤلاء الأموات سيطروا على الجو والبر والبحر وصاروا أسياد الكون بأسره"، هذا تصريح تشخيصي خطير فيه تعرية مفضوحة وخاصة في قولك "فتحول سادة البراري إلى عبيد وخدم لثعابين المسمومة. وتم طي هذه الصفحة الثورية برصاصات مكتومة"...

ملاحظات حول الفصل الثالث: الوعي ومراقيه:

✓ قلت في بداية هذا الفصل أن الإنسانية لن تسترد؛ أنفاسها إلا بفعل التغوط، وكررت هذه العبارة أكثر من ست مرات، فهده رمزية ساخرة...

✓ أشرت في الصفحة 54 إلى مشكلة هامة وهي الانتظار وعذابه وكأني بك تستشرف المستقبل وتتحسس المخلص.

✓ ظهرت لديك القيم المثلى التي كانت لدى المتصوفة وخاصة قيمة الجوع وكأنك تشير إلى أثر رمضان، الذي ظهر في كتابك خاصة ما ذكرته في الصفحة 62، وقد فهمت من هذا كأنك تؤرخ لعمرك الذهني المتناسب مع عمرك الزمني...

ملاحظات حول الفصل الرابع: أطوار الروح:

✓ لاحظت أنك في هذا الفصل ركزت على الإيمان الفطري وعلى العقل والقلب وهذا ما يؤكد خليفتك الإسلامية التي تجمع بين مخاطبة الحواس ومخاطبة العقل ومخاطبة الروح.

✓ حسن تركيزك على مسألة حماية العقل للإيمان وأن العقل حارس للغريزة، كما أشرت إلى النفس والسقوط والنهوض من جديد، وهذا مبعث للأمل وإشارة خفيّة ولطيفة للعالم الأخروي...

✓ حسن تركيزك على حظ الإنسان من الصلة الروحية، مثل الإقبال على الله بصدق وعلو الهمة، والنية ودورها، والإخلاص وأهميته في العمل والعبادة.

✓ لاحظت من حديثك عن ماهية الروح أنك اعتمدت إجابة الوحي، لأنك أشرت إلى الطاقات الروحية وحصرتها في المواهب والمظاهر، ثم خلصت إلى المسألة المعالجين الروحانيين وأصدرت حكمك فيهم وأنهم يستمدون طاقاتهم من مجال النفس لا الروح، كما أوضحت الفرق بين عالم الجن الذي يسخر وعالم الملائكة المسخر من الله، لينتهي هذا الفصل بعقد مقارنة بين العقل والروح.

ملاحظات حول الخاتمة:

لمست من خلال الخاتمة مايلي:

✓ أنك أظهرت خطورة العقل، وسطوته المرعبة في مهاجمة كل من يحاول فتح باب الروح، واصفا إياه بالتخلف والرجعية.

✓ قلت في الصفحة 102 ويبقى هذا الكتاب مجرد ناقدة صغيرة، فهو بمثابة مقدمة لمشروع ضخم أروم تحقيقه "وفّقك الله لتحقيق هذه الغاية"...

✓ لقد أنهيت الكتاب بسؤال تأسيسي مستقبلي، كيف السبيل إلى تحقيق المصالحة بين الإنسان وذاته وبين الإنسان وعالمه؟ وهذا السؤال قديم جديد حاول كل باحث الإجابة عنه فكان شأنهم كشأن السابح في بحر لجّيّ... وفّقك الله لما يحبه ويرضاه...

فهــــرس الآيات

السورة	رقم الآية	الآيــــة	الصفحــة
البقرة	18	﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ...﴾	75
الأنعام	18	﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ...﴾	71
الإسراء	85	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾	-74-7 78-77
الكهف	22	﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ...﴾	78-7
الحج	46	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...﴾	-75-71 84
الفرقان	53	﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنَ...﴾	80
الشورى	11	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ...﴾	70
التحريم	6	﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ...﴾	81
المعارج	4	﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ...﴾	85
المدثر	31	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ...﴾	79
القيامة	1	﴿لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ...﴾	73
	2	﴿لاَ أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ...﴾	73
النبأ	40	﴿يَقولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا...﴾	85
المطففين	14	﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ...﴾	75
الفجر	27	﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ...﴾	73
	28	﴿آرْجَعِي إِلَى رَبِّكِ...﴾	73
	29	﴿فَآدْخُلِي فِي عِبَادِي...﴾	73
	30	﴿وَآدْخُلِي جَنَّتِي...﴾	73

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**، برواية حفص عن عاصم.

❖ **ابن عاشور محمد الطّاهر**، التّحرير والتّنوير، دار سحنون، د.ت (12 مجلّد).

❖ **ابن كثير**، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، 2004 (4 مجلّدات).

❖ **ابن ماجه**، **السنن**، دار إبن حزم، ط 2001/1 (مجلّد واحد).

❖ **ابن هشام**، السّيرة، دار الجيل، د.ت (3 مجلّدات).

❖ **البخاري**، صحيح البخاري، دار الفكر، 1981 (4 مجلّدات).

❖ **مسلم**، صحيح مسلم، مكتبة الإيمان، د.ت (مجلّد واحد).

❖ **ول ديورانت**، قصّة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمّد المشعشع، مكتبة المعارف، ط 1988/6.

❖ **هيغل**، أصول فلسفة الحق، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي القاهرة، ط 1996/1.

❖ **النورسي سعيد**، مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، ترجمة الملاّ محمد زاهد الملاّ زكرداي، دار الآفاق الجديدة، ط1/ 1986.

❖ **أدونيس**، علي أحمد سعيد، زمن الشعر، دار الفكر بيروت–لبنان، ط 1/ 1986.

❖ **أفلاطون**، جمهورية أفلاطون، ترجمة حنا خبَّاز، دار القلم بيروت لبنان، د.ت.

❖ **كولن محمد فتح الله**، الموازين، ترجمة أورخان محمد علي، دار النيل للطباعة والنشر إسطنبول، ط 1/ 2002.

فهــــــرس المـــوضوعات

المقدّمة.. 17

الفصل التّمهيدي: حقيقة الكتابة....................................... 25

الفصل الثّاني: حكاية قبل البداية...................................... 36

الفصل الثّالث: الوعي ومراقيه.. 48

الفصل الرّابع: أطوار الرّوح.. 60

الخاتمة.. 87

الملحق الأول: مقال الروائية نجاح زقية والمنشور بمجلة الإتحاف عدد 193، مارس 2009... 91

الملحق الثاني: ملخص رسالة الأستاذ الدكتور صالح الداسي............ 98

فهرس الآيات 105

قائمة المصادر والمراجع 106

فهرس الموضوعات 108



- الباحث محمد الرزقي من مواليد 9-8-1973 بتونس
- تحصل على الأستاذية اختصاص عقيدة و فلسفة
- نال شهادة الدراسات المعمقة اختصاص أصول الدين
- متحصل على شهادة الدكتوراه ببحث عنوانه "مفهوم الحرية عند أقطاب السنة من الصوفية "
- أستاذ مساعد بالمعهد العالي لأصول الدين
- رئيس تحرير مجلة الإتحاف الثقافية

صدر له

- تصوف الحارث المحاسبي سنة 2005
- حقيقة الموت عند الصوفية سنة 2007
- ظهور الروح الطبعة الأولى سنة 2007 و الطبعة الثانية سنة 2011 و ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية عن طريق الباحث شكري حفظ الله و صدر سنة 2008 وعنوانه « L'émergence de l'âme ».
- تدريب المبتدئين في روضة المصلين و الصادر سنة 2010
- السديد في أصول التوحيد و الصادر سنة 2011
- خلاصة علم التوحيد عند الأشاعرة سنة 2012
- دليل المصلين إلى جنات النعيم سنة 2012
- نشر أكثر من مائة مقال و دراسة في الصحف و الدوريات و الحوليات التونسية



دار ياسين للنشر و التوزيع

isbn-978-9973-886-19-4

الثمن : 5 د.ت